سلطنة عُمان

وزارة التراث القومي والثقافة

دليل متحف

قلعة صحار

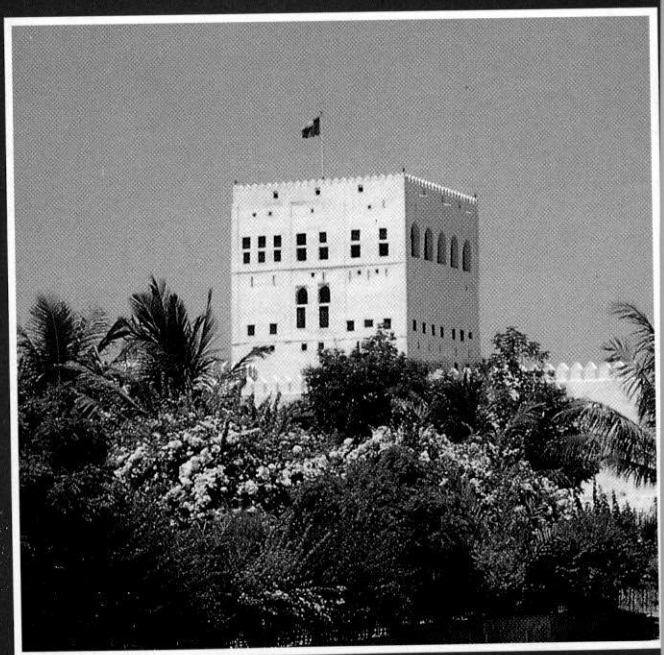

سلطنة عُمان

وزارة التراث القومي والثقافة

دليل متحف

قلعة صحار

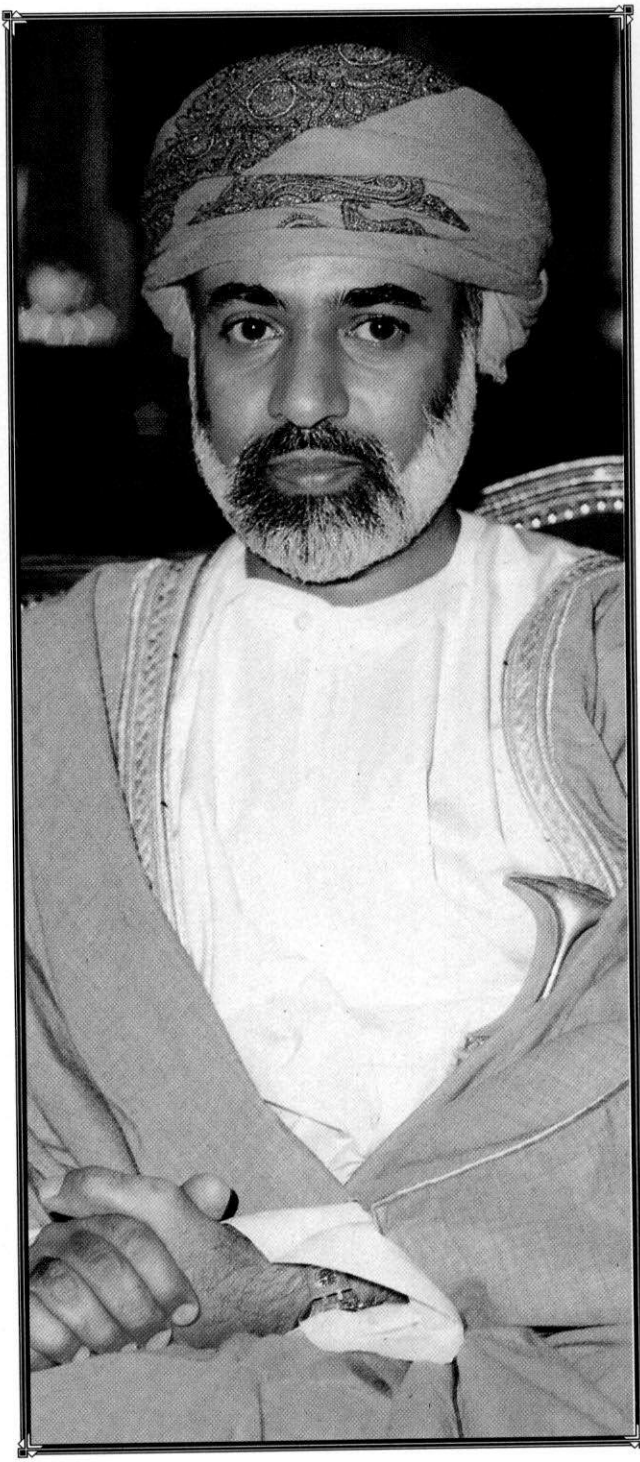

حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم

مقـــــدمة

صحار ليست أقدم مدينـة فحسب عرف العالم من خلالها عُمان أو مجان كما كـانت تسمى في الألف الثـالـث قبل الميـلاد بل هي نقطـة مضيئة في تـاريخ عُمان تتميـز بسمات تـاريخية بـارزة عديدة سواء على الصعيد الوطني أو الخارجي الدولي.

وحينما اكتمل ترميم قلعتها في اطار النهضـة المباركة في باكورة العهد الـزاهر لجلالة السلطان قـابوس المعظم قرر سمـو السيد فيصل بن علي بـن فيصل آل سعيـد - وزيـر التراث القـومي والثقافـة إبراز دور مدينـة صحار في تاريخ السلطنـة ومن هذا المنطلق جاءت فكـرة إنشاء متحف في داخل هذه القلعـة واختار سمـوه لهذا العمل عـالمة الآثـار الفرنسيـة الشهيرة الـدكتـورة مـونيك كـرفـران من جـامعـة السـوربـون في بـاريس وكـانت الـدكتورة مـونيك سبق وان رأست فريق التنقيب عن الآثـار في الحفريـات التي قـامت بها في صحار وفي حـرم القلعة، لـذا فقد انجزت هذه الخبيرة اقـامة المتحف وتجهيزه بـالمعروضات على اكمل وجه ممكن. وسيجـد من يطالع هذا الدليل انها قـد توفقت في سرد قدر كبير من تـاريخ صحار عبر المعروضات والبيـانات التي يحتويها المتحف.

وإنني اتقدم إلى الدكتورة مونيك كرفران نيابة عن وزارة التراث القـومي والثقـافـة بأجـزل الشكـر والتقديـر على هـذا الانجـاز الحضاري الـذي يروى تـاريخ عُمان المشرف في صمت هو أبلغ من الكلام مهما بلغ اللفظ من رفعة في البلاغة وسمو في المعني.

والله ولي التوفيق ،،،

مسـقط

ابريل ١٩٩٦م

مال الله بن علي بن حبيب اللواتي

مستشار الوزارة

غرفة رقم (٢) من صفحة ٩ إلى صفحة ٢٠
غرفة رقم (٥) من صفحة ٢١ إلى صفحة ٢٨
غرفة رقم (٦) من صفحة ٢٩ إلى صفحة ٥١
غرفة رقم (٧) من صفحة ٥٢ إلى صفحة ٦٧

قلعة صحار عام ١٩٩٣

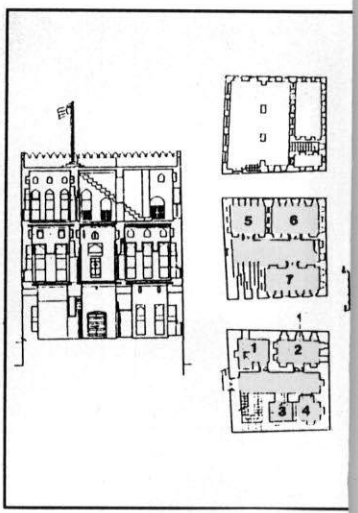

قلعة صحار، البرج الرئيسي
مخطط المتحف

البهو، الطابق الأرضى

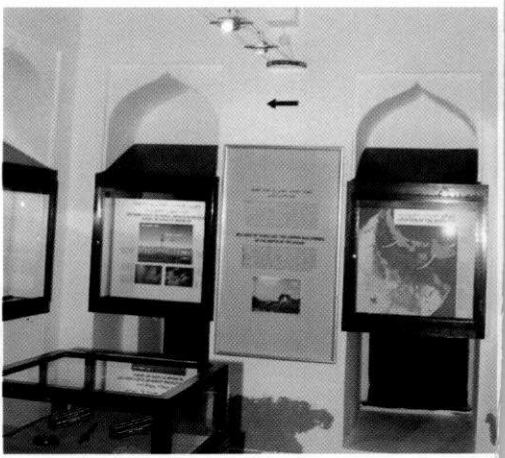

الغرفة رقم (٢)

الغرفة رقم (٦)

الغرفة رقم (٦)

الغرفة رقم (٧)

صحار ما قبل التاريخ

بدأ تاريخ موقع مدينة صحار منذ أكثر من مائة مليون سنة، حيث كانت شبه الجزيرة العربية قد انفصلت عن القارة الهندوأوربية ـ ايران وباكستان حالياً ـ بواسطة محيط عظيم سمي (الثيتس) (Theetys) والذي يعتقد أنه كان يزيد خمسة عشر عن عرض الخليج العربي الحالي.

وفي العصر الطباشيري (قبل مائة مليون سنة – حسب الزمن الجيولوجي) بدأ هذا المحيط عملية التكون، حيث أدى إلى تصدع القشرة المحيطية والتي شكلت قاع المحيط.

ونتيجة لذلك التصدع، تناثرت أجزاء من القشرة المتصدعة باتجاه شبه الجزيرة العربية، والتي تكوّن حالياً طبقة الأفيوليت في أجزاء سلسلة جبال عُمان الشمالية.

يمكن ان تشكل الصخور والمعادن الموجودة في طبقة صخور الأفيوليت مصدراً جيداً للدخل الاقتصادي لعُمان، اذا ما تم استغلالها واستثمارها بشكل تجاري أولاً من النحاس وثانياً من الحجارة السوداء وثالثاً من المياه.

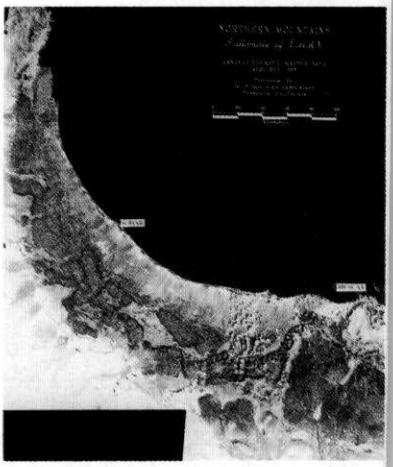

طبقة صخور الأفيوليت (باللون الأخضر)

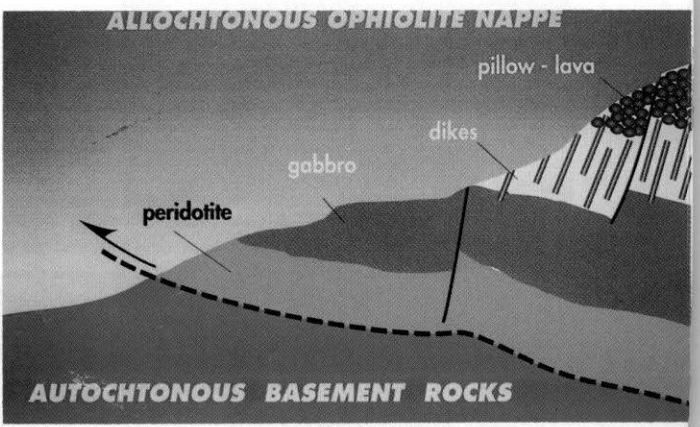

طبقة صخور الأفيوليت ـ قطاع متشقق

النحاس في مجان

بعد أنفصال الأرض من البحر تحولت ترسبات النحاس من قاع المحيط وتكونت على هيئة كربونات نحاس وحوامض حديد قرب السطح. وعمل السكان قديماً بالتعدين في هذه المنطقة التحويلية السطحية المسماة (بالقوسان).

وقد ساعدت هذه الآثار القديمة لإستخراج الناس في تعريف عُمان ببلد مجان أو (جبل النحاس) كما ورد في بعض النصوص المسمارية.

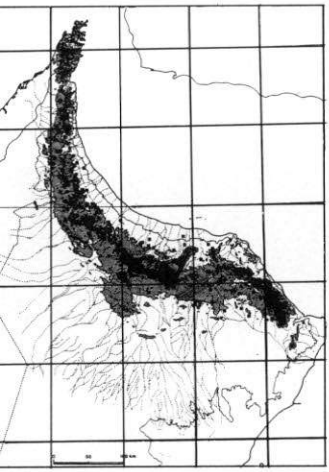

اليمين : خريطة توضح ترسبات النحاس في سلطنة عُمان.
اليسار : المناجم وأماكن إستخراج النحاس في منطقة وادى الجزى.

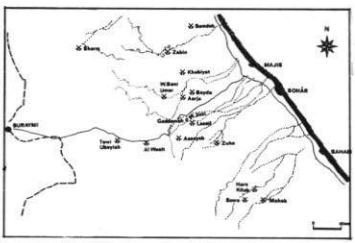

يعود إكتشاف النحاس في مجان خلال الألف سنة الثالثة قبل الميلاد إلى حقيقة أن مملكة Elam عيلام (جنوب إيران) وسومر (جنوب العراق) بلغتا درجة عظيمة من الرفاهية ولم يكن يتوفر لديهما النحاس وإكتشفوا – ولم يكن يتوفر لديهما النحاس – في مجان المورد الإساسي لتزويدهم بالكميات الضخمة من النحاس التي يحتاجون اليها.

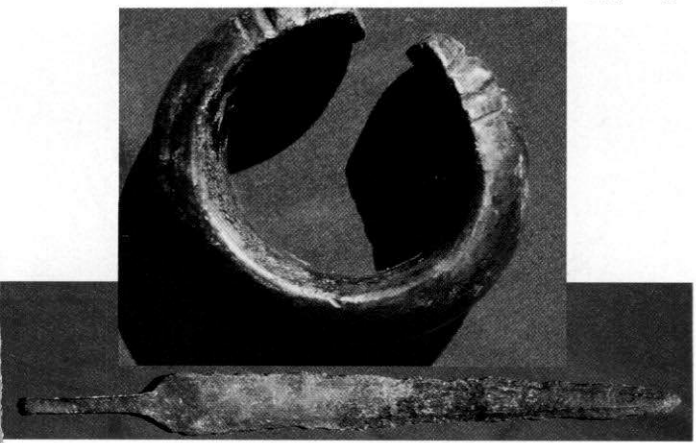

سبائك النحاس ورمح من منطقة البريمي (الألف سنة الثانية قبل الميلاد).

تم بعد ذلك إكتشاف تماثيل صغيرة وأكواب وصحون وأنواع مختلفة من الأسلحة فى المواقع الأثرية فى كافة المناطق المجاورة تعود إلى أصل عُماني وقد أثبتت التحليلات بأن هذه المكتشفات مصنوعة من النحاس المخلوط مع النيكل الذى يتميز به نحاس عُمان.
والمرفأ الذى كان يتم من خلاله تصدير النحاس لم يتم إكتشافه. حيث أن الآثار الدالة على مثل هذا الميناء قد إنمحت نتيجة لفيضانات الأودية الساحلية. كما أنه معلوم أيضاً بأن النحاس كان يتم تصديره جزئياً عبر وادى الجزى إلى مدينة أم النار الساحلية (دولة الأمارات العربية المتحدة الآن) ومن ثم عبر ديلمون (حالياً البحرين) إلى (سومر) واعيلام.

رأس ثور من النحاس وجد في «قلعة بربر» بالبحرين (النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد، المتحف الوطني البحريني)

وتحت الحاح الطلب الخارجى المتزايد قام سكان الباطنة بإستخراج النحاس بكميات كبيرة لمدة ١٤٠٠ عام تقريباً وصاحب ذلك حدوث نتائج هامة فى المنطقة نذكر منها:

- النمو السكاني لتوفير الأيدى العاملة للمناجم.
- تطور الزراعة وتربية الحيوانات لتوفير الغذاء وحيوانات الجر).
- إزالة الأشجار من كافة منطقة التعدين تقريباً لتوفير الحطب المطلوب للتعدين.
- إنشاء رأسمال تم إستثمارة في التجارة البحرية خلال العصور الوسطى.

تعدين وصهر النحاس

أن أعمال التعدين الحديثة المنشأ تقريباً وبالأخص تلك العائدة للفترة الإسلامية قد تركت الكثير من الآثار خاصة فى منطقتي الأصيل عرجاء.

التعـــدين :

تم فى الاصيل إكتشاف دهاليز بطول ٢٠ إلى ٣٠ متراً مع وجود معابر تصل بين جميع هذه الدهاليز من خـلال جدران عمودية. ويصل أكثر عمق لهذه الـدهـاليز ٨٨ متراً تحت سطح الأرض. ويـوجـد فى داخل الدهليـز الأسفل الضيق دعامـات مصنوعة بـإسلوب رائع من خشب السنط أما السقف فمصنوع من سعـف النخيل. وكان يتم رفع معدن النحاس إلى أعلى وإنزال الأدوات والمياه والطعـام إلى العمال بواسطة رافعات. وقد تم إستعادة الكثير من قطع الرافعات هذه والحبال التى كانت تربط بها.

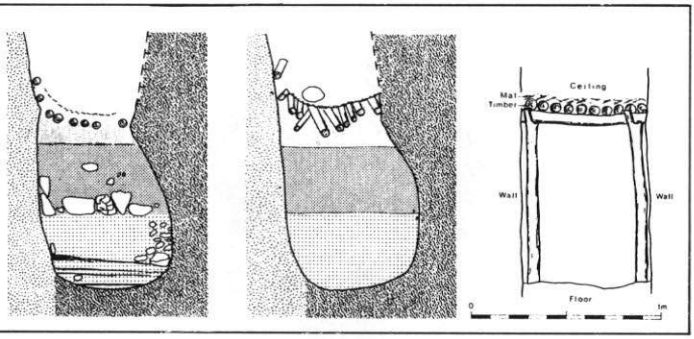

دهليز قديم فى منجم الأصيل

التســخين :

كـان يتم تسخين معـدن النحـاس قبل صهـره لإزالـة الشـوائب من الكبريت وتحويل الحديـد الموجـود فيـه إلى فلزات. وهـذه الطـريقـة لمعالجة النحاس لايبدو أنها كـانت متبعة فى جميع مواقع التعدين فى وادى الجزى.

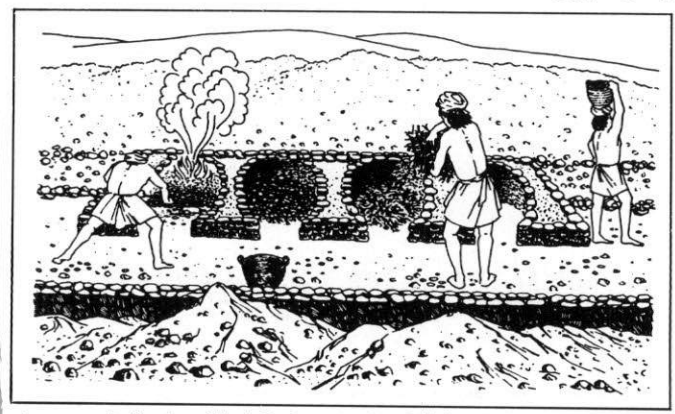

محمصة إسلامية قديمة أثناء العمل كما تخيلها الرسام (أرثر كريمر)

صهر النحاس :

يتم صهر النحاس الساخن فى مصاهر ذات أرضية منحدرة يتم حفر قعرها لضمان إستقرار المصهر وتوفير عزل حرارى جيد.

وبعد ملء المصهر بالمعدن والفحم يتم الإشعال من خلال فتحة جانبية موجودة فى الجزء الأسفل من المصهر، وتتدفق المادة المنصهرة عبر فتحة صغيرة فى الإسفل، وتبلغ درجة حرارة المصهر ١٤٠٠ درجة فهرنهايت وبإمكان كل مصهر إنتاج ما بين ٥ إلى ٦ كيلوجرامات من المادة المنصهرة التى تشكل ما بين (٥٠٪ إلى ٦٠٪ نحاس و٥ ، ٢٠كيلوجرام من نفاية النحاس. ويتم إعادة تسخين نفاية السائل وصهره وتحويله إلى صاجات نحاسية.

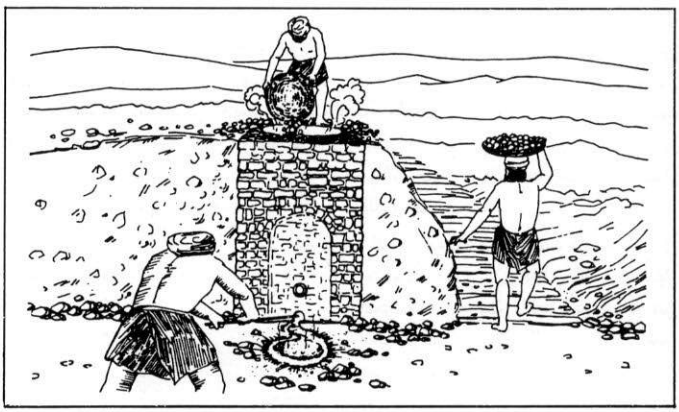

مصهر إسلامى قديم لصهر النحاس كما تخيله الرسام (أرثر كريمر)

وباتباع هذه الدرجة العالية من التطور التقنى فأن إنتاج منطقة عرجاء من النحاس قد تراوح ما بين ٤٨٠٠٠ إلى ٦٠٠٠٠ طن خلال فترة العصور الوسطى.

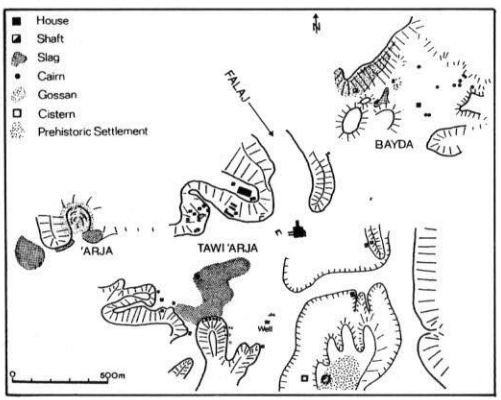

خريطة توضيحية لمواقع النحاس «بعرجاء والبيضاء»

التماثيل السومرية المنحوتة من حجر مجان الأسود

قصة الإله الذى شن حرباً ضد الجبال

تدور القصة حول المعركة التى نشبت بين آلة بلاد الرافدين نن جرسو ضد الطائر الخرافى ايمديجت. وقد تمكن ايمديجيت المتحالف مع صخور الجبال في البداية من هزيمة نن جرسو، ولكن تحولت بعض الصخور تدريجياً من مساندة ايمديجت والتحالف مع نن جرسو، وبعد إنتصاره قام بشكر الحجارة التى ساعدته على النصر ومن ضمنها الحجر الأسود وخاطبة قائلاً «أيها الحجر الأسود لقد أبليت جيداً فى المعركة ورفعت من شأنك أمامى. ولهذا سيتم نقلك من هذا «البلد العالى» وإحضارك إلى بلاد مجان ليتم نقشك فى تمثال الآلهة ليكون لك فى معبد الآلة المكان الذى تستحقه.

وهذه الحجارة السوداء التى أشارت اليه النصوص السومرية هى فى الحقيقة (الحجارة البلورية) الموجودة بجبال عمان التى يسهل الحصول عليها لأنها تتدحرج من منحدرات جبال الحجر وتتكسر هذه الصخور فى بعض الأحيان على شكل قوالب فى باطن الوادى حيث تحملها الرياح إلى الشاطىء، وعليه فقد كان من السهل نقل هذه الحجارة من مجان على السفن.

(تمثال جوديا، ملك لاجاش وعلى ملابسه مكتوب بالحروف المسمارية) «طلب الملك جوديا هذه الحجارة السوداء من بلاد مجان وتم نحتها لتكون تمثال له» (٢١٤٤-٢١٢٤ قبل الميلاد- متحف اللوفر- باريس).

امدادات المياه فى الباطنة

نعمت مدينة صحار مثل غيرها من باقى القرى الموجودة فى السهول القريبة من الجبال فى شمال سلطنة عمان بوفرة إستثنائية دائمة من المياه وذلك بسبب طبيعة الصخور الموجودة بها مثل (صخور البيروديت Periodities) التى تعتبر جزاء من حجر الأوفيليت الصخرى الأخضر Ophiolite

فالصخور التى تتكون منها الجبال العمانية تشكل مستودعاً جيداً لحفظ الماء لفترات طويلة وعليه تنشأ القرى على طول السهول الجبلية التى تتوافر بها العديد من العيون المائية.

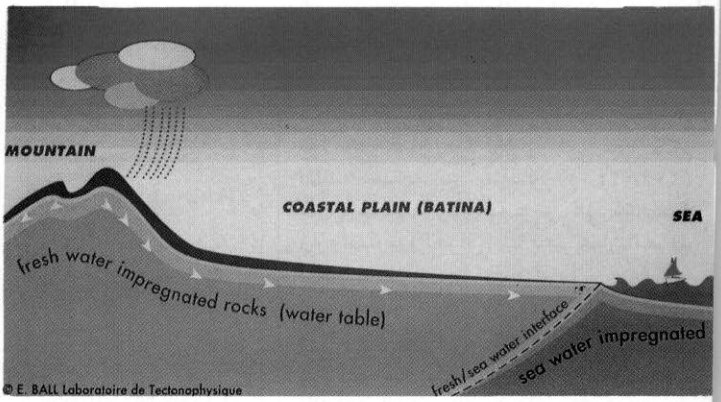

مستودع طبيعى فى أحد الأودية العمانية لحفظ المياه

استخدام الماء فى الباطنة

تتيح الشقوف الموجودة فى تصدعات الحجار الصخرية الإحتفاظ الجيد للمياه. وتوضح هذه الصورة إنغلاق صخرة Perioditite

عرف العمانيون منذ القدم كيف يستفيدون من المياه فى الجبال وطرق توصيلها إلى أماكنهم الزراعية. وتوضح هذه الصورة فلج قديم يعبر الوادى فى منطقة وادى الجزى. وتتدفق المياه الجوفية من الجبال إلى سهل الباطنة الساحلى وعند وصولها إلى الساحل تطفو المياه العذبة الخفيفة فوق مياه البحر الثقيلة المالحة، ومن ثم يندفع الماء العذب إلى السطح ويتدفق على شكل ينابيع ساحلية ومسطحات مائية. وعادة ما يكون التوازن غير مستقراً بين الماء العذب والماء المالح حيث يختلطا مع بعضهما البعض إذا تم ضخ الماء العذب بكثرة لأغراض الرى.

فعند أختلاط الماء العذب مع الماء المالح يصبح غير صالحاً للاستعمال كما أنه يؤدى فى خلال سنوات قليلة إلى تلف المساحات المزروعة.

الاسم «مجان» فى النصوص القديمة

خلال النصف الثانى من الألف الثالثة قبل الميلاد ذكر اسم «مجان» ٥٠ مرة على الأقل فى نصوص بلاد ما بين النهرين، ومن ثم لم يرد ذكر للاسم طوال فترة ١٥٠٠ سنة التالية. وورد ذكره مرة أخرى فى العديد من الكتابات الكنعانية حوالى عام ٥٠٠ قبل الميلاد، نذكر منها ما يلي :-

- النصب التذكارى لشلفا Shallfa (مصر) تخليداً لذكرى تشييد القناة التى تصل نهر النيل بالبحر الأحمر، بواسطة داريوس الأول Darius .
- القبور الملكية Achaemenian فى المسطبات الصخرية لبيرسبولس (إيران).
- وأخيراً فى قاعدة تمثال داريوس الأول المكتشف عام ١٩٧٢ بسوسا (إيران).

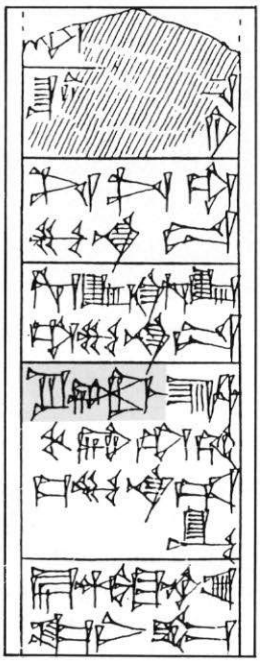

مرت ثمانية قرون من الصمت قبل أن يرد ذكر عُمان مرة أخرى. ففى فترة حكم الملك الساسانى شهبور (٢٤٢-٢٧٢) قبل الميلاد، وفى النقوش على «كعبة رازواستر» (العراق) لم تعد عمان تعرف بأسم مجان وإنما بأسم مزون.

ففى جرة فخارية من عصر حكم «جوديا» ورد ذكر للأعمال البارعة التى قام بها هذا الملك وفى السطر ٨-١٠ نقرأ ما يلى :- «من جبال مجان وملقا (شرق إيران حتى منطقة وادى الهند) يتم جلب الأخشاب لبناء معبد نن جرسو، وقد أجتمع الناس للملك جوديا فى مدينة لاجاش» إسم مجان مظلل باللون الأصفر.

تمثال للملك الكنعانى، أمبراطور برشيا وفارود وفرعون مصر الذى أسس مملكة شاسعة إمتدت من أواسط آسيا إلى دلتا النيل، منقوش عليه بالهيروغلوفية اسم كل مقاطعة من أمبراطوريته، مع نحت لأحد السكان فى قاعدة التمثال (حوالى عام ٥٠٠ قبل الميلاد). متحف الآثار - طهران- إيران. وهنا يمكن رؤية واحد من سكان مجان.

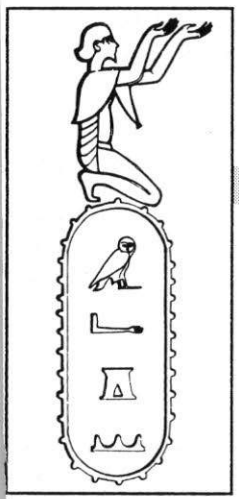

تجارة مجان

نشأت خلال الفترة من عام ٢٦٠٠ - ٢٠٠٠ قبل الميلاد علاقة تجارية بين مجان والمدن التجارية القوية الواقعة على ضفاف نهر الفرات.

ويبدو فى بداية هذه الفترة أن حكام هذه المدن حاولوا الإستيلاء على ثروات مجان خاصة النحاس والصخور النارية التى كانوا يستعملونها فى صناعة تماثيل لأنفسهم ولآلهتهم. فقد قام ماتستوشى، بعد سارجون، بإرسال حملة ضد مدن مجان البالغ عددها ٣٢ مدينة وواصل زحفه داخل البلاد إلى

مناجم النحاس، كما قام خليفته نرام سن بشن حرب ضد مجان كما قام حاكمه (مانوم) أو (مانو دان) بالثورة ضد الملوك الكنعانيين.
تلى بعد حوادث الإعتداءات تلك إنتعاش للعلاقات التجارية مع ملوك بلاد الرافدين فى لاجاش ولاحقاً مع ملوك آور. وقد أفادت العديد من الوثائق التى تم إكتشافها فى جنوب العراق فى التعريف بالحياة التى كانت سائدة فى موانىء بلاد الرافدين وورد فيها ذكر للسلع التى كانت تحملها هذه السفن.
فمنها كان يتم إستيراد الحجارة السوداء والنحاس الخام أو المصنع فى بعض الأحيان، والأخشاب من مجان. أما مدن لاجاش آرو- التى عمل فيها الكثير من سكان مجان كمرشدين بحريين ومراسلين. فقد كان يجلب منها إلى مجان الحبوب والمنسوجات والملابس.

المعاملات التجارية للتاجر العراقى لو انيلالا فى العام ٢٠٢٧ قبل الميلاد :

قام التاجر العراقى لو انيلالا مقابل سداده لقيمة شحنه من النحاس تم إستيرادها لمعبد الآلهة نانا، بشحن البضائع التالية بحراً إلى مجان: ١٨٠كجم من خشب الصندل، ٣٠كيلو من نبات للأكل، ٦٠كجم من السمك الصغير للتخزين، ٧٠قطعة ملابس Usbar، ١٥٠ لتر من زيت السمسم و١٨٠ قطعة جلود.
وقد تم الإتفاق على هذا التعامل التجارى من خلال المراسلات وجرى شحن البضائع على السفينة المتجهة إلى مجان وفى نفس الوقت أرسل لو انيلالا يطلب الأتى من مجان: ٢٠ لتراً من دواء يستخدم لمعبد الآلهة نان.

سفن مجان

أوضح نص يعود تاريخه إلى الأسرة الحاكمة الثالثة فى اور المواد المطلوبة لبناء سفن مجان كما يلى: «عدد ١٧٨ سعفة نخل كبيرة، ١٤٠٠ شجرة صنوبر كبيرة، ٣٦ شجرة تمر هند كبيرة، ٣٢ سدرة كبيرة، ٣ شجرات تمر هند بطول ٣ أذرع، ٣٢٨٠كيلوجرام من الحبال المصنوعة من سعف النخيل، ٨١٠كيلوجرام من الحبال المصنوعة من أوراق شجرة النخيل، ١٢٤٥كيلوجرام من نبات القصب، ٨١٠ من نشارة الخشب، ٦٠٠ جلد بقر، ١٣٤٤ من صوف الماعز، ٣٩٥ من زيت السمك، ٤٢٦٠ من البوص، ١٢٣٨٤ من القنا، ٢٥٣٦٠٠لتر من الأسفلت لمسحه على ظهر السفينة.

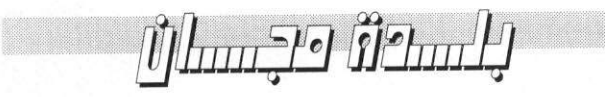

خلال النصف الثانى من الألف الثالثة قبل الميلاد، تمتع شرق الجزيرة العربية، العراق وجنوب إيران وكذلك المدن الواقعة على نهر

الاندس Indus برفاهية اقتصادية عالية وتطور سكاني، وكان الجزء الشمالى من عُمان يسمى مجان. وكان يحكمه ملوك وكانت له علاقة تجارية نشطة من الدول المجاورة.

وقد عاش سكان مجان فى مدن وحسب ما ورد فى النص السومرى فقد كانت توجد ٣٢ مدينة أو قرية فى مجان، وكانت جميعها واقعة على طوال الوادى الكبير وأسفل جبل الحجر، وكانت قلاع شامخة بداخلها أبار مياه تطل فى العادة على المساكن، ولايتضح ما إذا كانت هذه القلاع تستخدم كقلاع للمياه أو للحماية أو كمساكن للعظماء.

ويزرع الناس فى مجان القمح والشعير والذرة والنخيل. وتتكون حيواناتهم من الجمال والثيران والأغنام والماعز وربما الحمير وقد كان القنص وصيد الأسماك من أهم مصادر رزقهم حيث كانوا يقومون بصيد الغزلان والمها والطيور فى المناطق الداخلية والأسماك والسلاحف على طول الساحل.

وتدل كثرة القبور فى ذلك العهد على كثافة سكان مجان، ويبلغ قطر القبر المدور الشكل ١٣ متراً وهى مدافن جماعية يتم دفن الموتى فيها سنة بعد سنة ولعدة قرون فى بعض الأوقات وقد إحتوت بعض المدافن على أكثر من ٣٠٠ جمجمة.

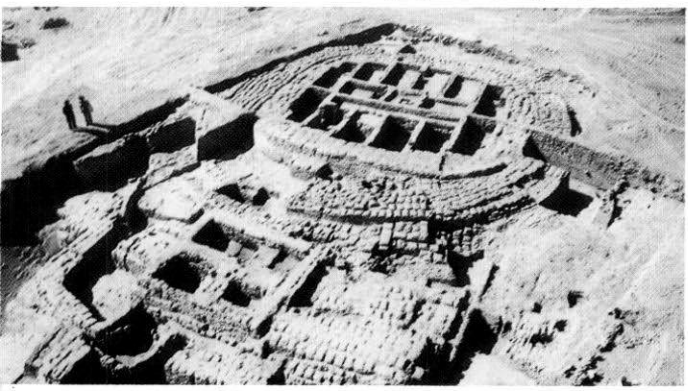

قاعدة برج فى هيلى تعود للنصف الثانى من الألف الثالثة قبل الميلاد.
العين، دولة الإمارات العربية المتحدة.

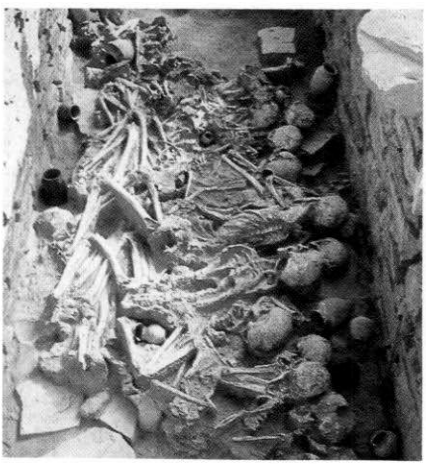

منظر داخلى لأحدى الغرف بمدفن جماعى فى هيلى تعود للنصف الثانى من الألف الثالثة قبل الميلاد.
العين ، دولة الإمارات العربية المتحدة.

قمة جبل صحار

أحدى المزايا الجيولوجية التى جعلت من صحار موقعاً متميزاً ربما تعود إلى كونها معلماً واضحاً للبحارة، فقمة جبل صحار التى يصل إرتفاعها إلى ٥٠٠ متر المكونة من حجر الكلس الأبيض المتحجر تمتد لمئات الكيلومترات.

فالشكل الواضح والمميز لقمة الجبل كان معلماً ومناراً للبحارة والسفن عند إبحارهم لمدينة صحار المختبئة عن الأنظار والتى يصعب التعرف عليها إلا عند الإقتراب كثيراً منها. كما تم إستخدام قمة جبل صحار لأهداف استراتيجية أخرى لحماية الطريق الواصل إلى مدينة توام (البريمى الآن) وقد تم فى العصور الوسطى بناء قلعة على الجانب الأخر من هذا الطريق لتكون ملجأ وملاذاً عند الضرورة ولتسهل من خلالها عمليات المراقبة. وبإمكان الشخص أن يرى حينما يكون الطقس صحواً ولمسافة كيلومترات بعيدة بداية ونهاية الوادى وتحمل هذه القلعة أسم حورة برغة. وتعنى كلمة حورة باللغة العربية الأبيض ناصع البياض وتعنى بالفارسية حديقة مما يشير إلى اللون الأبيض لقمة جبل صحار والنباتات الخضراء فى القلعة.

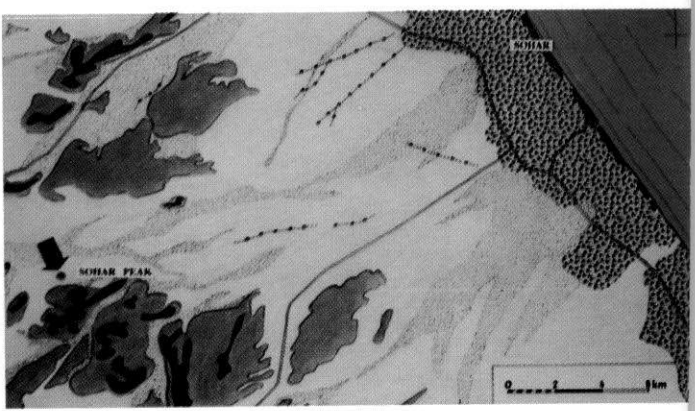

موقع قمة صحار

قمة جبل صحار

صحار قبل الإسلام

الكتابات التاريخية حول عراقة مدينة صحار وقدمها في التاريخ

طبقا للروايات القديمة والمتداولة، تعتبر صحار أقدم المدن العُمانية وقد فسر هذا الواقع، المؤرخ العربي ياقوت الحموي، عندما أشار إلى ذلك في كتاباته في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فقد ذكر بأن صحار «سميت بهذا الاسم نسبة إلى أحد أحفاد نوح، وهو صحار بن أرم ابن سام بن نوح». ولعل هذا الاسناد - الذي يحتمل أن يكون اسطورياً - في تأسيس المدينة ونسبتها إلى العهد القديم الذي عاش فيه ذلك الشخص، بمثابة الدليل القطعي على قدم وعراقة مدينة صحار.

وقد تأكد هذا الاعتقاد من مصدرين تاريخيين قديمين وهما (بليني، ومؤلف آخر لكتاب (الطواف حول البحر الاريتري) مجهول الهوية، في القرن الأول الميلادي)، حيث أشارا الى ميناء يسمى «عُمانا» دون أن يحددا موقعه بدقة.

ويعتقد كثير من الباحثين بأن ذلك الميناء كان موجوداً على سواحل عُمان وأنه هو الميناء الأصلي القديم لمدينة صحار.

وفي القرن الخامس الميلادي، أشار المؤرخ البيزنطي فيلوستورغيس، في وصفه لرحلة بحرية حدثت في القرن الرابع الميلادي، أشار الى وجود مركز تجاري فارسي كبير يقع في مدخل الخليج. ومن المرجح أن هذا المركز الهام هو مدينة صحار. وقد ظهر لاحقاً في النصوص الملكية الساسانية اسم (مزون)، والذي يشير الى منطقة وعاصمتها.

وقد أكد المؤرخون المسلمون العرب بأن مزون هي نفسها صحار. واستخدم اسم مزون في النصوص الفارسية والصينية لعدة قرون هجرية. ولكن المصادر الإسلامية العربية استخدمت اسم صحار في السنة الثامنة للهجرة عندما وصل الصحابة رسل سيدنا محمد (عليه السلام) الى عُمان لدعوة أهلها للإسلام.

البحث عن مدينة صحار

ما قبل الإسلام

بعد التنقيبات الأثرية التي قام بها (ويندل فيليبس) في عام ١٩٥٤م حاول علماء آثار آخرون اكتشاف دلائل مدينة صحار القديمة، معتقدين بأن المدينة القديمة تقع على بعد مسافة قصيرة من موقع المدينة الحالي:

(وفي الحقيقة أن المدن في السابق كانت غالباً ما تتوسع مبتعدة عن الموقع الأصلي لها وذلك ضمن مسار تطورها التاريخي) ولكن تلك الأبحاث لم تحقق نتائج ملموسة ولهذا السبب، وفي سنة ١٤٠٠ هجرية/ ١٩٨٠ميلادية، أصدر صاحب السمو السيد فيصل بن علي آل

سعيد، وزير التراث القومي والثقافة توجيهاته لتخويل بعثة التنقيب الفرنسية عن الآثار بالقيام بمحاولة جديدة للبحث والتنقيب في صحار. وتشكل صحار تلة صغيرة تصل الى ارتفاع عشرة أمتار في المنطقة المجاورة وقد تم حفر خندق في أعلى التلة، حيث يفترض أن هذه المنطقة كانت أكثر الطبقات مأهولة بالسكان. وعند التعمق في الحفر في ذلك الخندق لمسافة عميقة تحت سطح الأرض، أمكن قراءة تاريخ المدينة بأكمله، منذ الوقت الحاضر وحتى بداية تأسيسها، على جدران الأخاديد والخنادق التي تم حفرها.
وفي نفس الوقت، حُفرت ثلاثة أخاديد أخرى على جوانب خندق القلعة.

منظر جوي لمدينة صحار، سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨٢م

إكتشاف مدينة صحار

التي تعود الى فترة ما قبل الإسلام

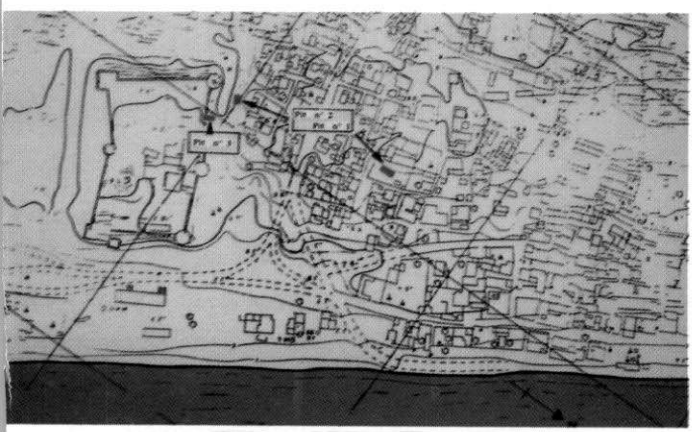

مخطط لمدينة صحار تظهر فيها مواقع الخنادق

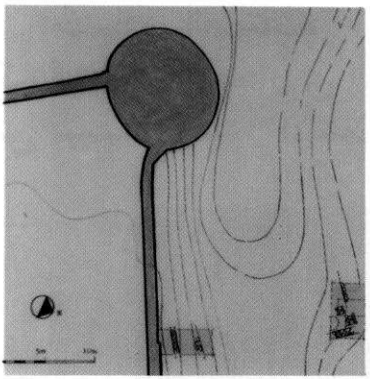

الخنادق التي تم حفرها على جوانب حصن المدينة، في الزاوية الجنوبية الغربية للحصن.

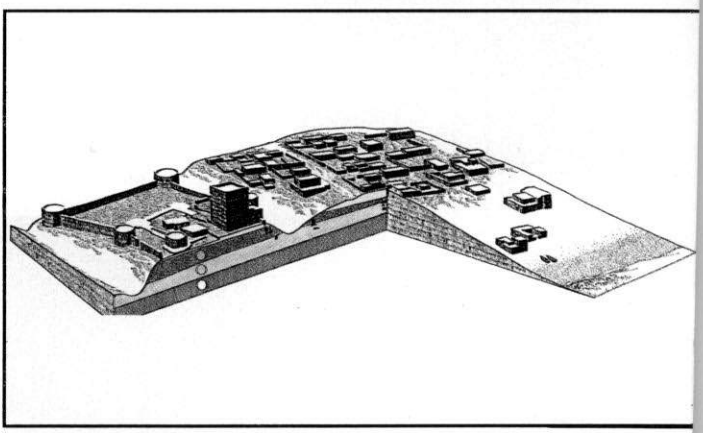

المقطع العرضي (اسفل) والمنظر العام لموقع مدينة صحار (في الأعلى)

توضح الطبقات المتعاقبة لاستيطان المدينة ــ من السطح الحالي للمدينة وحتى الأعماق. اللون الأصفر : الطبقات الإسلامية الحديثة من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وحتى الوقت الحاضر. اللون الأخضر : طبقات العصر الإسلامي القديم (من القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وحتى السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي). اللون الأرجواني : طبقات عصر ما قبل الإسلام (من القرن الأول الميلادي وحتى السادس الميلادي. اللون الرمادي : طبقة الأرض البكر.

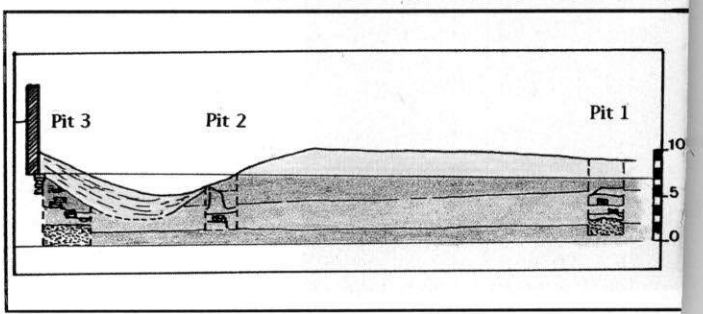

الخنـادق العميقـة
التي كشفت عن صحار في الفترة
التي سبقت ظهور الإسلام

الخندق رقم (١)

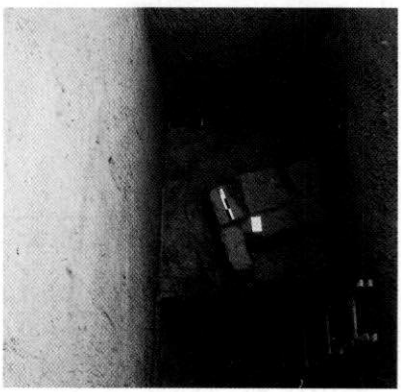

الخندق رقم (٢)

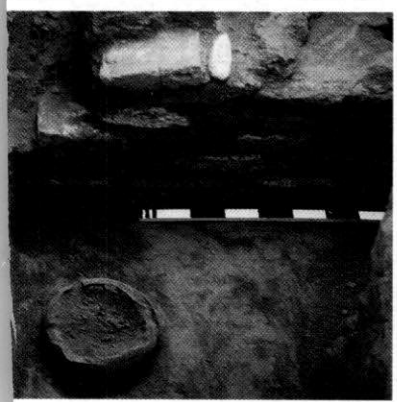

الخندق رقم (٣)

قطاع الطبقات الصخرية للخندق رقم (١)

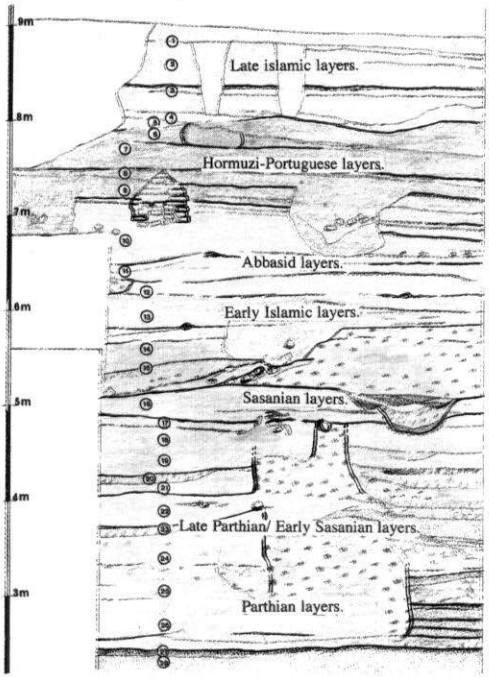

قطاع الطبقات الصخرية للخندق رقم (١)

العوامل التي ساعدت

في تحديد تاريخ مدينة صحار

السيراميك الأحمر من الهند (فخار أحمر المصقول)

يعتبر السيراميك الأحمر من الهند من الأنواع الجيدة المصنوع من فخار درجة أولى يتم حرقه ليصبح فى لون الطوب

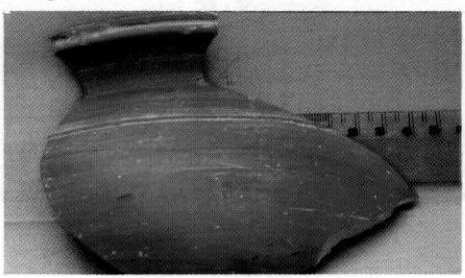

بقايا فخارة من السيراميك الأحمر المصقول المكتشف فى صحار (القرن الأول إلى الثالث ميلادى)

الأحمر ويغطى بمادة شفافه. ويأتى هذا النوع الفخم من السيراميك من الساحل الغربى لشبة القارة الهندية وهو نسخة طبقاً الأصل من السيراميك الذي كان يتم صنعه منذ القرن الأول قبل الميلاد بايزو بايطاليا والذى كان يتاجر به التجار الرومان مقابل الحرير الصينى فى الموانىء الهندية. وقد قام الخزافيين الهنود بضاعة فخار مشابة مستخدمين الاشكال والقوالب التى يصنعونها عادة فى الهند. وقاموا بدورهم بتصدير الفخار إلى موانىء إيران وشرق الجزيرة العربية التى لم تكن معروف بها آنذاك.

وفي صحار تم إكتشاف جرار مصنوعة من هذا الفخار الأحمر في اعماق أساسات البيوت القديمة جداً (عمق ٢٧) وكانت هذه القطع كثيرة بين العمق ١٩-٢٢، وهذا ما يؤكد بأن صحار كانت موجودة منذ القرن الأول الميلادي.

كنز المسكوكات النقدية الذهبية

ذكر مؤلف (كتاب حصون الهند) ــ انتونيو بوكارو ريزند ـ البرتغالي الأصل بأنه وفي سنة ١٠١٠ هجرية، ١٦٠١ ميلادية، تم العثور على كمية كبيرة من المسكوكات النقدية الذهبية تحمل اسم (Tiberi-us الامبراطور الروماني (تايبيريوس). وقد حكم هذا الامبراطور من سنة ١٤ ـ سنة ٣٥ ميلادية. ولكن حسب اعتقاد البرتغاليين قبل أربعة قرون، فان هذا الكنز لم يثبت بأن الرومان احتلوا هذه المنطقة. ولكن يثبت أمرين فقط: أولهما أنه كانت هناك حركة تجارية نشطة في القرن الأول الميلادي بين الرومان والهنود من جهة، وبين الهنود والعرب من جهة ثانية.

الأمر الثاني يتمثل في الاعتقاد بأن أحد تجار مدينة صحار كان قد جلب هذه المسكوكات النقدية من الهند، وعمل على اخفائها في بيته لكثرتها.

وبطبيعة الحال، لم يبق هناك أية آثار تدل على هذا الكنز في صحار، ولكن اكتشافه يؤكد أن صحار كانت مزدهرة خلال القرن الأول الميلادي.

عملة نقدية سكت خلال فترة حكم تبريس
في القرن الأول الميلادى (المكتبة الوطنية/باريس)

علاقة صحار بطرق الحرير

إن جميع المؤشرات والدلائل التي تبينت من التسلسل التاريخي لمدينة صحار، أثبتت أن صحار كانت مزدهرة في بداية القرن الأول الميلادي، وعلى أثر ذلك مباشرة أصبحت المدينة تشهد حركة تجارية نشطة.

وقد وصلت الامبراطورية الرومانية في ذلك العهد قمة توسعها وازدهارها، وكانت تستهلك التوابل والبهارات بكميات كبيرة، وكذلك الحرير والبضائع الشرقية الراقية.

كانت هذه البضائع تأتي من الصين ومملكة كوشان في شمال الهند، حيث كانت تنقل من الشرق الى الغرب بالطرق البرية.

وقد كان البارثيين الذين حكموا ايران والعراق مسيطرين على الطريق البري بين الصين وروما، حيث كانوا يفرضون الجمارك الباهظة على البضائع، بل كانوا يقطعون الطريق التجاري كلما كانوا في حالة حرب مع الروم.

كانت القوافل التجارية المتجهة الى روما تضطر الى تجنب المرور في منطقة امبراطورية البارثيين وذلك خلال القرن الأول الميلادي.

وقد كانت تستبدل بالرحلات التجارية البحرية، رغم المخاطر التي كانت تعترضها في البحر مثل القرصنة البحرية والعواصف. ومن ناحية ثانية كانت الطرق البحرية لا تكلف كثيراً حيث لم يكن هناك رسوم أو جمارك مفروضة، ونتيجة لهذا الاهتمام المتزايد بالطرق البحرية وتجارتها، بدأ التركيز على صناعة القوارب والسفن التجارية وتطوير الأساليب الملاحية، حيث تطورت بشكل سريع.

وقد باشرت التجارة البحرية نشاطها أولاً بأن كانت السفن تبحر من البحر الأحمر وبحر عُمان الى سواحل الهند، وذلك لتحميل البضاعة القادمة من الصين عن طريق البر. وفيما بعد أصبحت السفن تبحر مباشرة الى الصين لجلب البضائع من هناك كالحرير والخزف الصيني.

وظهر ميناء صحار نتيجة للتطور التجاري والتكنولوجي مع بداية القرن الأول الميلادي. وفي نفس الفترة فقدت الطرق البرية أهميتها، وأخذت التجارة منحىً آخر باستخدام الطرق البحرية، وهكذا بدأ ميناء صحار يكتسب أهمية وشهرة تجارية واسعة كأحد أهم الموانيء العالمية.

تاريخ المنطقة

خلال القرون الأولى في عقد صحار

تميزت الفترة التي سبقت ظهور الإسلام بحدثين هامين في تاريخ شبه الجزيرة العربية، أولهما هجرة القبائل العربية من جنوب غرب الجزيرة العربية نحو

الشرق والشمال، والتي نتجت عن إنهيار سد مأرب. وقد رافقت هذه الهجرة تغيرات سياسية كثيرة في المنطقة. ولكن لا يعرف الكثير عن هذه التغيرات. والأمر الثاني هو النشاط التجاري الذي ساد شبه الجزيرة العربية، والذي ارتبط بتطور طرق تجارة الحرير والتوابل. ونتيجة لهذ االنشاط التجاري فقد انتعشت المناطق التجارية مثل طرق تجارة البخور والمدن الجنوبية التي كانت تعتمد على هذه التجارة.
كما أن هذه التجارة أدت إلى ظهور مدن جديدة عديدة، وخاصة الموانيء: مثل ميناء صحار وميناء سمهرم (خور روري) في عُمان.
وقد أصبحت شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة المركز الحقيقي للتجارة العالمية، مقارنة مع المدن التجارية الأخرى المشهورة في الشمال الغربي مثل البتراء وتدمر.

سمهرم (خور روري) المركز التجاري لظفار

لا تزال آثار هذه المدينة ماثلة للعيان على مدخل الخور، في شكل حجارة متراصة ثابتة في مكانها، وهي بقايا البيوت والمعابد القديمة في المدينة.
ولعل اللغة العربية المكتوبة بلهجة عرب الجنوب تشهد على أهمية هذه المدينة خلال القرن الثاني الميلادي.

منظر لموقع سمهرم يطل على مدخل خور روري

مدينة صحار

منذ بزوغ فجر الإسلام

نزول الوحي :

نزل جبريل بأمر من الله تعالى على سيدنا محمد ــ (ﷺ) ـ ليملي عليه ويعلمه القرآن الكريم، وكان ذلك في النصف الأول من القرن السابع الميلادي.

نص الرسالة التي بعث بها رسول الله ﷺ الى أهل عُمان :

بعث رسول الله (ﷺ) برسالة إلى أهل عُمان يدعوهم فيها للدخول في الإسلام، وقد حمل الرسالة اثنان من الصحابة هما عمرو بن العاص السهمي وأبوزيد الأنصاري، حيث قدما إلى عُمان والتقيا بابني الجلندى - عبد وجيفر - في صحار. وقد جاء في تلك الرسالة التي كتبها الصحابي أبَي بن كعب:
«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبدالله، رسول الله، إلى عبد وجيفر ابني الجلندى، أما بعد السلام على من اتبع الهدى، فاني أدعوكم بدعوة الإسلام، أسلما تسلما، فاني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. فان أسلمتما وليتكما، وان أبيتما فان ملككما زائل وخيلي تطأ ساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما».
وقد أورد المؤرخ (البلاذري) مسألة قدوم هؤلاء الصحابة إلى صحار في كتاباته، وذلك بعد مضي ما يقارب القرنين ونصف القرن من الزمان، حيث ذكر «بأنه إذا ما قبل أهل عُمان الدعوة ودخلوا في الإسلام وإطاعة الله ورسوله فان إمارتهم ستكون للصحابي عمرو بن العاص ويتولى أبوزيد الأنصاري. أداء الصلاة، وتعليم الناس قراءة القرآن الكريم والمباديء الإسلامية».

التاريخ السياسي لعمان

حتى فترة حكم أسرة النبهانية

الفترة الأولى - من ٨ - ١٣٢ هجرى ٦٢٩-٣٠ - ٧٥٠ ميلادى

أصبحت عُمان بعد أعتناقها للإسلام جزء من الأمبراطورية الإسلامية تحت حكم الخلفاء الراشدين والأمويين، وصار يتم تعيين حكامها من قبل السلطة المركزية، وعموماً لم يتمكن الخليفة من بسط نفوذه على عُمان خلال هذه الفترة ففى مناسبتين عام ١١ هجرى/٦٣٢ ميلادى وفى عام ٨ هجرية ٧٠٥ ميلادية كان ضروري أن يتم ارسال جيش الخليفة إلى عُمان لإقرار السلطة على الناس، وفى نفس الوقت كان المذهب الأباضي قد بدأ ينتشر، فى عُمان، وفى عام ١٣ هجرية/٧٤٨ ميلادى، (أو فى عام ١٣٥هـ حسب رواية انس) تم انتخاب الجلندي من مسعود إمام.

الفترة الثانية :- الإمامة ١٣٢-٤٩٤هـ/٧٥٠-١١٠٠ ميلادية

كانت الإمامة الأولى بزعامة ممثل من عائلة الجلندي. وتعنى وضع الهجوم الفورى نهاية لحكمه فى عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠ ميلادى وأثر العديد من الائمة اللاحقين جاءوا من فخذ أخر من عشيرة الشنوة، الا وهو فخذ اليحامد.

أ- العصر الذهبى :

خلال الجزء الأول من هذه الفترة (طوال قرن واحد) حافظت الأمامة التى كان مقرها الرئيسي فى نزوى - على التوازن بين القبائل فى الجنوب وغرب الجبال والشمال وفى الباطنة. وقد تمتعت عمان بقدر كبير من الأزدهار. وقد حاول الخليفة هارون الرشيد اخضاع عُمان للسلطة المركزية مرة أخرى ولكنه لم يستطيع، ولكن فى عهد الإمام عزان بن تميم الخروصي (٢٧٧-٨٠٠هـ - ٨٩٠-٩٣ ميلاد - انفرط عقد التآلف القبلى.

ب- الحرب الأهلية :

عقب المواجهة إستنجدت بعض القبائل القاطنة في الجزء الشمالي من جزيرة العرب، بمحمد بن نور حاكم البحرين طالبة المساعدة. وبموافقة الخليفة المعتضد الذى وجدها فرصة لإخضاع عُمان تحت راية الخلافة، قام محمد بن نور بغزو الدولة ومارس أفظع أنواع القهر والظلم على منطقة نزوى، وقام ضمن ما قام به من فظائع، بحرق الكتب وتدمير الأفلاج، إلا أن تهديد القرامطة أجبر قوات الخليفة على الإنسحاب، وفي وقت لاحق خضعت عُمان لحكم البوهيين (بني بويه).

ج- المحاولات لاستتباب السلطة :

في حوالي عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وبعد سقوط البوهيين، حاول الأئمة إستعادة حقوقهم الشرعية في عُمان. ولكن تصارعت طائفتين من الأباضية إحداهما من نزوى والأخرى (الأكثر تشدداً) من الرستاق. ولم تتمكن الإمامة من فرض تحكيمها على هذه النزاعات الدينية. بالإضافة إلى ذلك لم تقوى على مواجهة الغزوات الجديدة للسلاجقة. وقد جاء كل ذلك في وقت كان فيه المغول يكتسحون بقايا العباسيين فى بغداد ويبسطون نفوذهم على العالم الإسلامي الشرقي.

بعض الأحداث

الهامة في صحار خلال العصور الوسطى

شهد تاريخ عُمان أحداثاً هامة عديدة حصلت في صحار وقد دلت تلك الأحداث على أهمية المدينة وأهمية الدور الذي لعبته كمدينة كانت عاصمة لعمان وحاضرتها على مدى أكثر من ألف ومائتي عام.

الأحداث السياسية :

سنة ٨ هجرية/ ٦٢٩ ميلادية : وصول رسل النبي (ﷺ) إلى صحار.
سنة ١٢ هجرية/٦٣٣ ميلادية: وقوف قبيلة بني الجلندى في صحار مع جيش الخليفة أبوبكر الصديق للقضاء على حركة بعض القبائل التي ارتدت عن الإسلام وقاومت سلطة الخلافة.
ـ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي: القبض على الحاكم العباسي عيسى بن جعفر إبن عم المنصور، وسجنه في حصن صحار ثم اعدامه بناء على رغبة الامام الوارث بن كعب الخروصي.
ـ سنة ٣٠٥ هجرية/سنة ٩١٧ ميلادية: غادر الحاكم العباسي هلال مدينة نزوى ليقيم في صحار.
ومنذ أن تم تأسيسها في القرن الأول الميلادي، ظل الجغرافيون والمؤرخون يعرفون صحار كعاصمة لعُمان، حتى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

الأحداث البحرية :

سنة ١٦ هجرية، سنة ٦٣٧ ميلادية:
غادر أسطول بحري ميناء صحار باتجاه السواحل الهندية لمحاربة القرصنة البحرية.
نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي:
أرسل الامام الوارث بن كعب الخروصي اسطولاً بحرياً من صحار لمحاربة القراصنة من السند الذين كانوا يهاجمون السفن التجارية ومخازن تجارة العرب وخاصة في صحار.
تعرضت صحار خلال العصور الوسطى ـ حيث كانت الميناء الرئيسي في عُمان ـ لهجمات وغزوات عديدة على أيدي جيوش الخلفاء العباسيين والزنوج والقرامطة والبويهيين والسلاجقة والهرمزيين والبرتغاليين والفرس.

الأحداث التجارية :

نهاية القرن الثالث الهجري/بداية القرن العاشر الميلادي:
أثار الحكم المجحف على التاجر اليهودي اسحاق غضب جميع التجار وأصحاب المحال التجارية في صحار.

- خلال القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي، تم اختيار الشيخ عبدالله، وهو مواطن من صحار كان يقيم في الصين ضمن التجار الآخرين المقيمين هناك، كمشرف على الأجانب في كانتون بالصين.

الظواهر الجوية :

في شهر جمادى سنة ٣٥١ هجري / يونيو سنة ٩٦٢ ميلادية: سقطت أمطار جارفة على مدينة صحار ومنطقتها، حيث حدثت فيضانات لم يسبق لها مثيل دمرت المدينة.

وصف مدينة صحار

خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

كان من أكثر العلماء الجغرافيين الذين أفاضوا في وصف مدينة صحار، العالم العربي الفلسطيني المقدسي - الذي جاء لزيارة المنطقة خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. حيث بيّن الحالة التي كانت عليها مدينة صحار في تلك الفترة بشكل مفصّل، فقد ذكر بأنها كانت «مدينة مزدهرة، يقطنها عدد كبير من السكان، كما أنها كانت جميلة ومريحة للعيش. وكانت أحياؤها السكنية الباهرة تمتد على طول شواطيء البحر. كانت بناياتها شامخة ورائعة مشيدة بالآجر وخشب الساج. كما كان المسجد مطلا على البحر، فيه مئذنة رائعة ومرتفعة بشكل بارز. وفي الداخل، كان المحراب يبدو أصفر اللون أحياناً، وأحياناً أخرى أخضر اللون، وفي بعض الأوقات أحمراً». وكان ما يميز المدينة أسواقها المزدهرة العامرة، والتي كانت تلفت نظر مرتاديها وإعجابهم. وهناك يمكن للانسان ان يشتري البضاعة التي جُلبت من جميع أنحاء العالم، بالاضافة الى الفواكه المزروعة في البساتين وبين أشجار النخيل في المنطقة الداخلية. كما كانت تتوفر المياه العذبة بشكل كبير، حيث كانت الآبار والقنوات منتشرة في جميع مناطق المدينة.

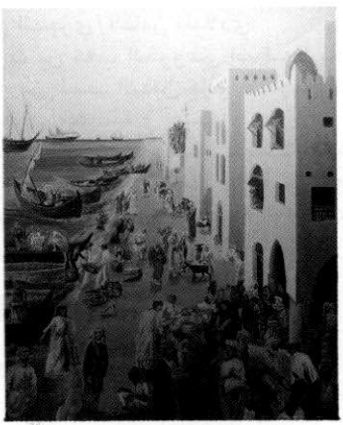

صحار في القرن التاسع كما تخيلها الرسام

صحار وازدهارها

خلال العصور الوسطى

لقد كانت مدينة صحار من أكثر المدن العُمانية ازدهاراً وتطوراً وذلك منذ بزوغ فجر الإسلام وحتى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. وتعود جذور هذه الحضارة الى عصور قديمة. فقد كان النحاس من أكثر المعادن توافراً واستغلالاً، ومصدراً للثروة على مدى أكثر من أربعة آلاف سنة. حيث تم العثور على عقود لاستخراج النحاس من منطقة وادي الجزي، وتعود للفترة الممتدة ما بين القرن الثالث والسادس للهجرة/التاسع والثاني عشر للميلاد وقد تحدث عن ذلك المؤرخ العربي - المسعودي — الذي زار مدينة صحار خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حيث ذكر بأن النحاس كان يستخرج من أرض عمان. كما شهدت الزراعة تطوراً ملموساً في منطقة الباطنة إبّان العهد الإسلامي حيث كانت تتوفر المحاصيل بكثرة في أسواق مدينة صحار، بما فيها الفواكه والحبوب، وكانت تصدر للخارج عند زيادة المحصول.

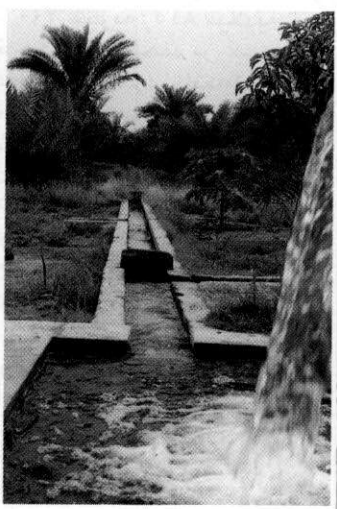

الفلج قديماً وحديثاً.

وقد أبدى أئمة الاباضيين إهتمامهم وحرصهم في الإبقاء على خصوبة وانتاج الأرض الزراعية، حيث وضعوا القوانين والتعليمات الخاصة لصيانة شبكة الأفلاج والتي تعتبر المصدر الأساسي للمياه.

وأخيراً، شهدت التجارة البرية والبحرية تطوراً ملحوظاً منذ عهد الساسانيين. وقد ساعدت الامكانيات في مدينة صحار على ارسال السفن في رحلات تجارية بحرية الى أماكن أخرى من العالم في الفترة ما بين السنة الثانية والرابعة هجرية/ (٨ - ١٠) ميلادية مما ساهم في اثراء المدينة وازدهارها.

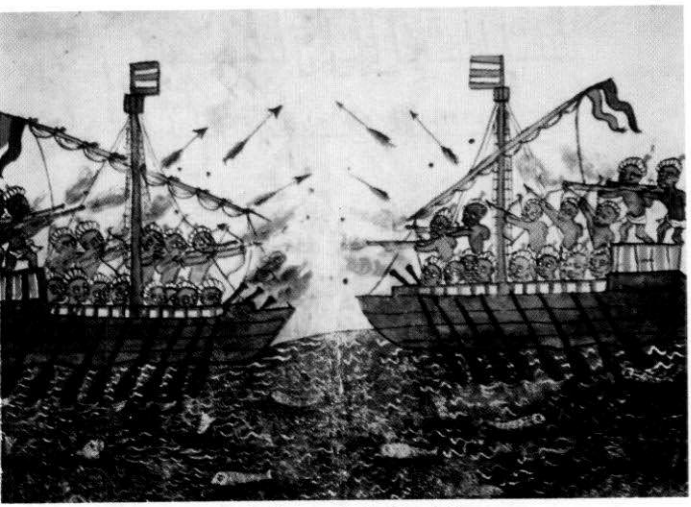

قراصنة في المحيط الهندي

وقد أدرك حكام عُمان في تلك الفترة أهمية تلك التجارة بالنسبة لهم، مما أدى بالامام غسان بن عبدالله الذي كان يسكن في صحار، أن يقوم بتنظيم أسطول بحري من أجل مقاومة القراصنة الهنود والأفارقة، وكان ذلك في حوالي سنة ٢٠٠ هجرية/٨١٥ ميلادية.
وبعد حوالي عشرين عاماً، وفي فترة حكم الامام محمد بن أبي عفان، أصبح ذلك الأسطول بمثابة الأسطول العسكري المتكامل، والذي استخدم للدفاع عن عُمان وحماية شواطئها وسفنها. وفي فترة لاحقة، أدرك الحاكم المعين في عُمان من قبل العباسيين أهمية التجارة وسلامة التجار ـ حيث كانت هذه التجارة تدّر دخلاً وفائدة كبيرة على خزينة الدولة فقد وصلت قيمة الضرائب التي كانت تدفعها عُمان (صحار بشكل رئيسي) الى خزينة الدولة في بغداد، الى مبلغ (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة الف دينار ذهب، وذلك في العام ٢٣٦ للهجرة / ٨٥٠ ميلادية.
وكانت الحجاز تدفع نفس القيمة في تلك الفترة، في حين كانت اليمن تدفع حوالي (٣٧٠,٠٠٠) ثلاثمائة وسبعين الف ديناراً من الذهب.

اكتشاف المسكوكات النقدية

ودلالتها على النشاط الإقتصادي

على الرغم من أن صحار كانت تعتبر من أعظم المراكز الاقتصادية في العصور الوسطى، الا أنه لم يتم اكتشاف مسكوكات نقدية كثيرة تعود الى تلك الحقبة الزمنية، وذلك لسببين: السبب الأول هو أن مباني المدينة الخالية قائمة على الموقع الأثري للمدينة، ولذلك يصعب التنقيب والحفر سوى في مناطق صغيرة ومحدودة. والسبب الثاني هو ملوحة الطبقة الترابية التي تلي السطح، مما يجعل امكانية العثور على معادن قديمة بشكلها الأصلي من غير تعرضها للتلف، أمراً غير سهل.

الجرة التى تحتوى على كنز العملات والمكتشفة فى سناو عام ١٩٧٩م

كنز المسكوكات النقدية المكتشف في بلدة سناو

لقد وجد هذا الكنز من المسكوكات النقدية والذي تم اخفاؤه بشكل مقصود على بعد كيلو متر واحد من بلدة سناو (بالقرب من المضيبي) لصاحب مصرف في ذلك الزمان، أو لتاجر ثري جمعه عن طريق التجارة. وعلى الأرجح أن يكون قد تم اخفاء هذا الكنز خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ويحتوي على مسكوكات نقدية يعود أقدمها الى نهاية القرن السادس الميلادي، ولكن معظم القطع يعود تاريخها الى القرنين الثاني والثالث للهجرة/ الثامن والتاسع للميلاد، وقد دلّت المسكوكات على أنها جُلبت من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي آنذاك ــ مثل اسبانيا، ومصر والعراق، والجزيرة العربية، وايران ووسط آسيا، وقد كان اكتشاف هذا الكنز بمثابة الاكتشاف الثاني في شبه الجزيرة العربية بعد اكتشاف كنز مماثل في منطقة الخبر (شرق السعودية) سنة ١٩٦٦. هذا وقد تم العثور على كنوز أخرى من المسكوكات النقدية الإسلامية ليس فقط في العالم الإسلامي، ولكن أيضا في روسيا وشمال أوروبا. ولعل كنز سناو من المسكوكات النقدية خير دليل على الوضع التجاري المزدهر في عُمان، خاصة مدينة صحار خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

العملات النقدية المكتشفة مؤخراً في صحار

تم العثور على هذه المجموعة من العملات النقدية في الطبقات العليا من الخدمات التي نُفذت في صحار خلال النصف الثاني من القرن

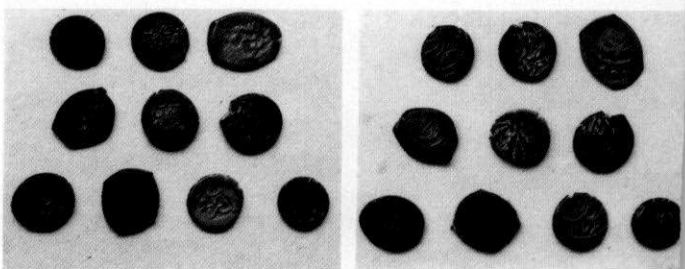

العملات المكتشفة مؤخراً في صحار

الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي في عهد (محمد علي كريم خان زند)، الذي حكم خوزستان من سنة ١١٦٣ وحتى سنة ١١٩٣ هجرية/سنة ١٧٤٩ ـ سنة ١٧٧٩ ميلادية.
وقد نقش على هذه العملات اسماء الأماكن التي سُكّت فيها. فثلاثة منها مصدرها ديزفول، وستة أخرى من شوشتار (خوزستان/ ايران). وتعتبر هذه المسكوكات النحاسية بمثابة الدليل على التبادل التجاري الذي كان قائماً بين عُمان وغرب ايران خلال تلك الفترة.

شمال : زجاجة اكتشفت في صحار (القرن التاسع هجرى/ميلادى)
تحت : وعاء من السيرافيك اكتشف في صحار (القرن ١٠-١١ ميلادي)

صحار وعلاقتها

ببلاد السند والهند

تعود العلاقة بين صحار والموانيء الهندية والباكستانية إلى عصور قديمة جداً، ساعد في ذلك قرب المسافة والرياح الموسمية.

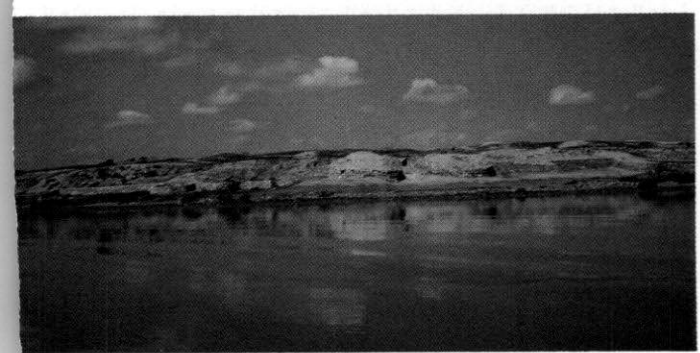

موقع بانبور منذ القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي،كما يشاهد من البحر.

ولعل من أقدم الأدلة على مثل تلك العلاقة، اكتشاف قطع من الجرار المدهونة في منطقة رأس الجنز ورأس الحد، والتي تم احضارها أصلاً من وادي الإندس. ويعود تاريخها إلى حوالي سنة (٢٠٠٠) قبل الميلاد.
أما أقدم عينات من السيراميك الهندي التي وجدت في صحار، فتعود إلى القرن الأول الميلادي، وهي تلك الفترة التي أسست فيها المدينة.
وعلى مدى تاريخها، بقيت صحار على علاقة متبادلة مع شبه القارة الهندية.
وخلال العهد الإسلامي، كان ميناء (ديبول) في وادي الإندس (الباكستان اليوم) من أكثر الموانيء التي يتردد عليها التجار العرب، وذلك لشراء الكافور والصبغ الأزرق وأزهار المسك، والتي كان يؤخذ منها عطر المسك غالي الثمن. كما كان يتم استيراد أصناف عديدة من الخزف الملون الممتاز من ميناء ديبول إلى الدول العربية.
وقد تم اكتشاف العديد من هذه القطع الفخارية ـ المصنوعة من الصلصال المأخوذ من دلتا وادي الإندس في المواقع الأثرية في عُمان والخليج.
ومن السهل التعرف على هذه القطع ومكانها الأصلي، وذلك لأنها تحتوى على رقائق الميكة التي تنتج عن الصخور المتحللة الموجودة في أعالي وادي الإندس.

ميناء ديبول

تقع مدينة ديبول على بعد (٦٠) كيلومتراً شرقي كراتشي، ولكن المدينة القديمة الغنية هي الآن منطقة آثار تعرف باسم (بانبور).
ويعتقد أن المدينة أسست خلال القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد.
وقد احتلها القائد الإسلامي محمد بن قاسم الثقفي، وهو ابن اخ الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان والياً على العراق في العهد العباسي، وكان ذلك في سنة ٩٢ هجرية/سنة ٧١٠ ميلادية.
وعلى مدى القرون المتعاقبة، قام التجار العرب والفرس والهنود، وتجار آسيا وافريقيا باحضار المواد الغذائية المختلفة لهذه المدينة، كما كان عليه الحال في صحار.

سفينة تجارية صغيرة في وادي الاندس

موقع بندر لهوري مع مستودعه الحصين، (القرن الخامس ـ الحادي عشر الهجري / الحادي عشر ـ السابع عشر الميلادي).

بندر لاهوري

أثناء القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تحول مجرى الجزء الأسفل من نهر الإندس باتجاه الجنوب الغربي. ونتيجة لذلك اختفى ميناء ديبول وتحولت منطقته الى طمي، كما فقدت مياه الشرب العذبة. وقد انتقل سكان المدينة إلى ميناء آخر ذو أهمية أقل، وهو ميناء لهوري الواقع على مسار النهر الجديد ويربط نهر الإندس بالبحر.

وقد ذكر أن الرحالة العربي المشهور ابن بطوطة زار المدينة خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث التقى بالكثير من التجار القادمين من اليمن وبلاد فارس، كما عرف أن المدينة كانت تحصل على مبالغ طائلة من الجمارك والضرائب.

وقد اكتشفت قطع عديدة من الخزف الصيني والسيراميك الذي تم احضاره من ايران وعُمان في آثار ميناء بندر لاهوري الذي تغمر المياه جزءاً منه في الوقت الحاضر وذلك بسبب غرق دلتا وادي الإندس في المحيط.

أعظم التجارة البحرية (القديمة)

كانت الممارسات التجارية السائدة في العصور الوسطى مشابهة جداً لتلك المستخدمة حالياً حيث كانت هنالك فواتير متناولة (مشابهة لشيكاتنا الحالية) كما قامت الشركات التجارية بتسهيل عمليات التجارة البحرية. وهذه الشركات كان يتم تمويلها بواسطة رأس مال من عدة شركاء يعملون في نفس المجال ويتحملون المخاطر، حيث يتكاتف الشركاء بتجهيز سفينة وتأجير بحار وشراء البضائع وعند عودة السفينة يمكن أن يكون ربحها اضعافاً مضاعفة ما لم تتعرض للتحطم أو لاندلاع النار في مخازنها التي قد تقضي على الربح وكذلك على الأرواح البشرية.

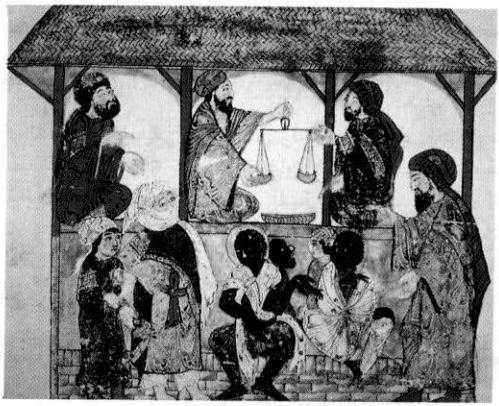

السوق في احدى المدن العربية

أقدم التجار العمانيين المعروفين في ذلك الزمان

من أشهر التجار العُمانيين في ذلك العهد هو أبوعبيدة عبدالله بن القاسم المعروف بالصغير، وينتمي إلى بلدة عُمانية صغيرة اسمها بسيا وعلاوة على كونه أكثر شيوخ الاباضية علماً في ذلك الزمن، فقد كان تاجراً معروفاً. وقد كانت ممارساته التجارية تدل على التزامه بالحق، فقد كان يرفض أن يتصرف كغيره من التجار، حيث كانوا يبخسون أسعار البضاعة عند شرائها ويدّعون أنها بضاعة تالفة و سيئة حتى يشترونها بسعر رخيص، وعندما يبيعونها فانهم يرفعون من قيمتها وثمنها ليكسبوا الكثير (رغم عدم مشروعية هذا الكسب). ولهذا السبب فقد فسخ شراكته مع تاجر آخر يتعامل ببيع خشب الصبار. وقد سافر إلى الصين حوالي سنة ١٤٠ هجرية/٧٥٨ ميلادية. وقد عُرف تاجر آخر في تلك الفترة كان يقوم برحلات متعددة الى الصين خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وهو نزار بن ميمون وكان قريباً من إثنين من أئمة الاباضية، وقد كان يعيش في البصرة.

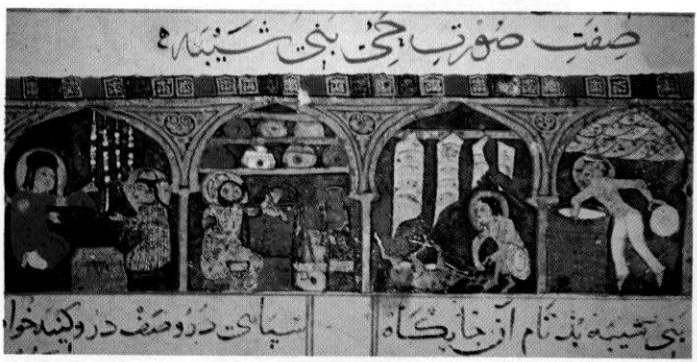

منظر لمحلات تجارية للمجوهرات وصيدلية ومخبز ومحل لبيع اللحوم (القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي).

البضائع الغير عادية التى كانت تستورد من صحار فى عام ٣٠٤هـ/٩١٧م.

ذكر المؤرخ الفارسي/المسعودى، الذى زار صحار فى ذلك الوقت، الهدية المرسلة للخليفة المقتدر من حاكم صحار. هلال بن محمد ببغاه يتحدث الهندية والفارسية تم جلبه من الهند، والعديد من القرود من أندونيسيا، وغزلان سوداء ونملة بحجم القط من أفريقيا، وعدد من الثعابين الضخمة وعجائب أخرى من المحيطات، وأصباغ ورماح ممتازة.. الخ.

أنواع التبادلات التجارية التى كان يقوم بها أحد التجار المسلمين فى القرن السابع الهجرى/١٣م.

كان لهذا التاجر الغنى ١٥ جملاً محملة بالبضائع و ٤٠ من الرقيق والخدم، وقد قال «أننى أرغب فى تحميل الزعفران إلى الصين حيث يباع هناك بأسعار باهظة وأحضار الخزف الصيني من الصين إلى اليونان، وتحميل الديباج من اليونان إلى الهند وإحضار الفولاذ الهندى إلى اليبو Alepo وتحميل الزجاج من اليبو إلى اليمن وتحميل المواد الجلدية من اليمن إلى بلاد فارس».

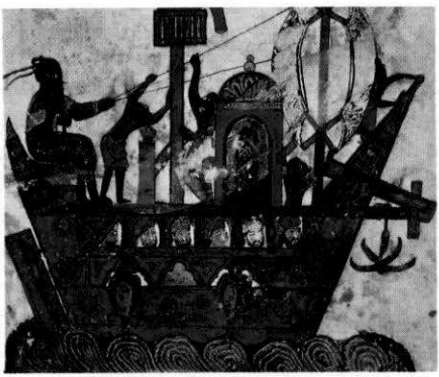

سفينة تجارية من العصور الوسطى

نموذج طبق الأصل للسفينة العربية فى العصور الوسطى «سفينة صحار»

قصة التاجر اليهودي اسحاق الذي كان في صحار

اتجه هذا التاجر إلى الشرق منطلقاً من عُمان، وكان يحمل معه أقل من مائتي دينار وقد عاد بعد بضع سنوات، وذلك حوالي سنة ٢٩٩ هجرية/٩١١ ميلادية، ومعه سفينة محملة بالمسك والحرير والخزف والمجوهرات الثمينة والأحجار الكريمة وغيرها من البضائع النادرة التي جلبها من الصين. وكانت قيمة المسك والحرير والخزف فقط تساوي (٣) ملايين دينار. وقد حدث أنه تم تدبير مؤامرة لاعتقال ذلك التاجر اليهودي، ومصادرة بضائعه، وعلى اثر ذلك أغلق التجار محلاتهم في الأسواق، وبدأ التجار العمانيون وغيرهم باعادة تحميل البضاعة في السفن. وقد قاموا مع أهالي صحار برفع عريضة الى الخليفة (المقتدر) ذكروا فيها بأنه اذا ما تمّت مصادرة البضائع واعتقال ذلك التاجر، فان سفنهم لن ترسو في صحار بعد ذلك، مما يؤدي الى خراب المدينة من الناحية التجارية. وعلى أثر ذلك تم اطلاق سراحه، واستعاد التجار ثقتهم وبدأوا بمزاولة نشاطهم المعتاد.

التجارة مع الصين

المسلمون في الصين

أثبتت الحفريات الأثرية التي أجريت في صحار بأن تجار المدينة كانوا يصلون الصين في رحلات تجارية، وذلك منذ القرن الرابع الميلادي. وقد تواجد المجتمع الإسلامي الذي كان معظمه من التجار القادمين من عُمان واليمن وبلاد فارس في الصين وخصوصاً في ميناء كانتون الصّيني، منذ القرن الثاني الهجري/ التاسع الميلادي. وتحتفظ الوثائق الصينية بأسماء عديدة من هؤلاء التجار، فعلى سبيل المثال التاجر المشهور - أبو روح - الذي قام باستيراد شحنة من البخور إلى الصين بسعر خيالي سنة ٥٣٠ هجرية/سنة ١١٣٦ ميلادية.

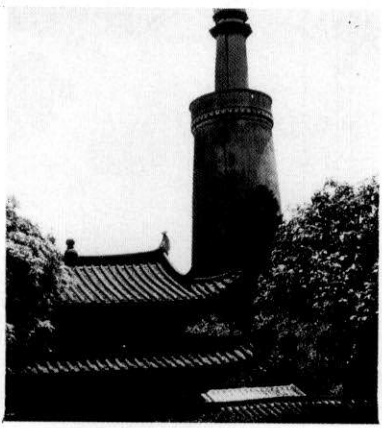

المسجد الكبير بالصين

وكذلك ــ فوليان ــ (ولا يعرف اسمه العربي)، تاجر بحريني كان يمتلك العديد من السفن التجارية، وعندما توفي وجد عنده (١٣٠) برميل مملوءة باللؤلؤ.
وقد لعب العديد من هؤلاء التجار أدواراً سياسية بارزة في الصين. فقد عينت الحكومة الصينية الشيخ عبدالله ــ الذي قدم أصلاً من صحار ـ رئيساً للأجانب الموجودين في كانتون، خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. كما كان (أبو علي) ـ الذي ينتمي والده لمدينة قلهات ـ وزيراً لمقاطعة (فوجي)، وقد توفي سنة ٦٩٩ هجرية/سنة ١٢٩٩ ميلادية تاركاً وراءه سمعة طيبة وثروة طائلة في بكين. وهناك العديد من المقابر الإسلامية، والمساجد التي لا تزال قائمة في الصين حتى وقتنا هذا، وأقدم هذه المساجد المسجد الموجود في كانتون.

الصينيون والعالم الإسلامي

لا يُعرف فيما اذا كان التجار الصينيون يأتون إلى الموانيء العربية والفارسية قبل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ـ وهي الفترة التي بعث فيها امبراطور الصين سفيراً لبلاده إلى هرمز. ولكن الوثائق الصينية تؤكد على أنه ومنذ العصور الوسطى، عرف الصينيون الموانيء العربية والفارسية وأسماء الموانيء الأخرى التي أنشئت في وقت لاحق. وكانوا يسمون عُمان بـ (وين مان)، ويسمون ظفار بـ (زوفار) وطيوي (تي وي) وقلهات بـ (هيلي جن)، وبالنسبة لصحار، فلم يعرفوا الاسم العربي لها، بل كانوا يعرفونها باسمها الفارسي (مزون) (موكْسان) أو (ووكْسان» طبقا للنصوص الصينية.

الخزف الصيني ـ الإختراع الصيني المتميز

ان العالم مدين للصين للعديد من الاكتشافات الهامة مثل الورق والبوصلة والمتفجرات، وهناك اكتشافات لها نتائج اقتصادية هامة.

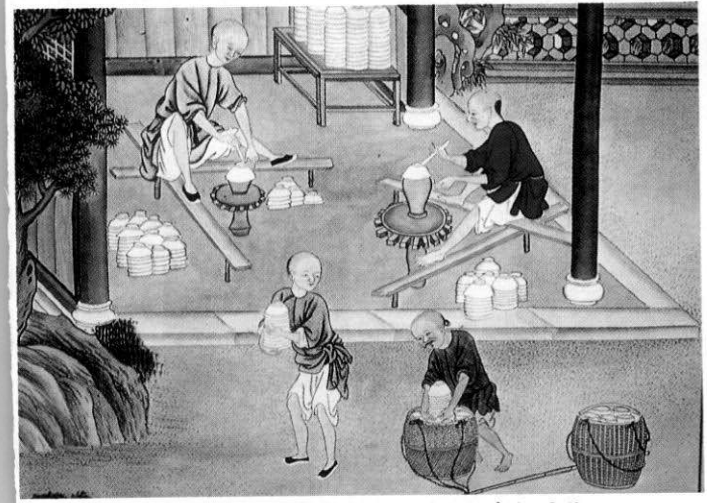

صناعة الخزف الصينى رسم من القرن السابع عشر الميلادى

أولها الحرير، وثانيها السيراميك الذي كان يحرق على درجات حرارة مرتفعة جداً، وأهم منتوجاته الأواني والخزف، وقد اكتشف السيراميك في القرن الثاني قبل الميلاد.
وعند حرقه في أفران على درجات حرارة مرتفعة تصل إلى (١٢٠٠ - ١٤٠٠) درجة مئوية، يتحول الصلصال إلى مادة مصقولة بالتدريج، وعازلة تماماً، وفي حالة الحصول على صلصال نقي فانه يصبح شفافاً.
وقد استطاع الصينيون الاحتفاظ بسر صناعة الخزفيات عبر القرون، ذلك الشيء الذي بهر العالم.
وهناك من ربط صناعة الخزف الصيني بالقوى السحرية، ومنهم من عزى صناعته إلى القدرات الطبية والكيماوية: حيث يُطحن ليصبح كالبودرة، كان يعتقد أنها تستخدم لمعالجة ألم الأسنان ونزيف الأنف. وكان البعض يعتقد بأنه اذا وضع السم في وعاء من الخزف، فان الوعاء يرشح بالسم كاشفاً خيانة الشخص الذي وضعه. وفوق كل ذلك فان للخزف الصيني قيمته الجمالية، ويعتبر هدية ثمينة. فقد أهدى (علي بن عيسى) حاكم خراسان، إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد ألفي (٢٠٠٠) قطعة من الخزف، في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

تمثال صيني لأسد بوذا تم اكتشافه في صحار (القرن ١١-١٢ ميلادي)

نشوء المراكز التجارية الكبيرة في منطقة الخليج

بينما كان ميناء صحار من أكثر الموانيء ازدهاراً على السواحل العُمانية على مدى أكثر من ألف عام، كانت المنطقة الجنوبية من البلاد تشهد تطوراً تجارياً ملحوظاً في الفترة ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر للميلاد. ففي منطقة ظفار كان هناك ميناءً مزدهراً يُعرف اليوم باسم (البليد)، يقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة صلالة.

ولعل الآثار التي لا تزال ماثلة للعيان في ذلك المكان لخير دليل على ماضيه المزدهر. كما أن المسكوكات النقدية الصينية وقطع الخزف التي اكتشفت في ذلك الميناء تؤكد على وجود العلاقات التجارية مع الشرق الأقصى وموانيء البحر الأحمر والسواحل الافريقية.

بدأت الأنظار والأطماع تتجه الى منطقة بحر العرب والخليج نتيجة لازدهار الحركة التجارية وكثرة السفن التجارية العابرة ذهاباً وإياباً، ومع اضمحلال سلطة الخلفاء المسلمين على المنطقة، بدأت السلطات المحلية تأخذ على عاتقها فرض وجمع رسوم الجمارك لصالحهم.

وقد كان أول من فرض ذلك بنو الجلندى بن كركر، في منطقة الأهواز على الساحل الايراني. وقد فرضوا ضريبة تساوي (١٠٪) على جميع البضائع التي تمر في مضيق هرمز. ثم تلاهم بنو قيصر من جزيرة قيس - وبنو صلغار Salghar ثم بنو طيبي Tibi - وكلاهما من ايران - وأخيراً أمراء هرمز الذين عملوا على تنظيم التجارة البحرية وفرضوا الضرائب والجمارك وجمعوها لصالحهم، وذلك بعد أن سيطروا على جميع المنافذ واحتلال سواحل الخليج وبحر عُمان.

آثار مدينة البليد

هرمز وقلهات

تنظيم الجمارك

إن النظام الذي وضعه أمراء هرمز وقيس لتنظيم التجارة البحرية في المنطقة كان كما يلي: كانوا يجبرون كل سفينة تجارية بأن ترسو في موانيء محددة وضعوا فيها وكلاء لهم لجمع رسوم الجمارك والضرائب لصالحهم. في حين وضعوا في الموانيء الأخرى التي سترسو فيها السفن حاميات عسكرية تابعة لهم وذلك لمنع جميع أشكال التعامل التجاري. وقد وصف هذا النظام المؤرخ الايراني ـ وصّاف ـ خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، حيث ذكر بأنه «عندما كانت البضائع التجارية تصل من الشرق الأقصى والهند، كان الوكلاء والموظفون التابعون للأمراء يقومون بمنع جميع أشكال التجارة، ويأخذون من البضاعة ما يطلبه منهم الأمراء، حيث كانت ترسل الى هرمز بواسطة سفنهم الخاصة، وهناك كذلك لا يسمح لأحد بالبيع أو الشراء الا بعد أن ينتهي هؤلاء الوكلاء من اختيار الأصناف المطلوبة من البضاعة، وخاصة ذات القيمة العالية منها. بعد ذلك يتم السماح للتجار الآخرين بشراء ما يرغبون من البضاعة».

منظر جوي لمدينة قلهات

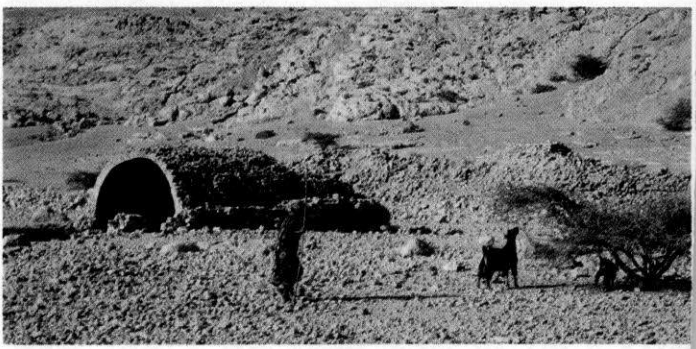

خزان مياه بالقرب من هرمز

قلهات ـ مركز نشوء مملكة هرمز

كان احتلال بعض المناطق يتزامن مع السياسة التجارية، وقد كان من الأولويات احتلال الساحل العماني وذلك حتى لا تتمكن السفن التجارية من التخلص من القيود الجمركية التي فرضها أمراء هرمز، عن طريق تفريغ حمولتها في أحد الموانيء العمانية الممتدة من ظفار وحتى صحار.

وعلاوة على ذلك، فإن أمراء هرمز كانوا يعرفون مناطق الساحل العُماني، حيث أن أجدادهم الذين كانوا يقطنون في جنوب الجزيرة العربية، كانوا قد وصلوا الساحل الإيراني انطلاقاً من قلهات، وذلك قبل بضعة قرون.

وهناك تشابه كبير بين المنطقة الشرقية ومملكة هرمز، من حيث الطابع المعماري والمناخ وطبيعة التضاريس.

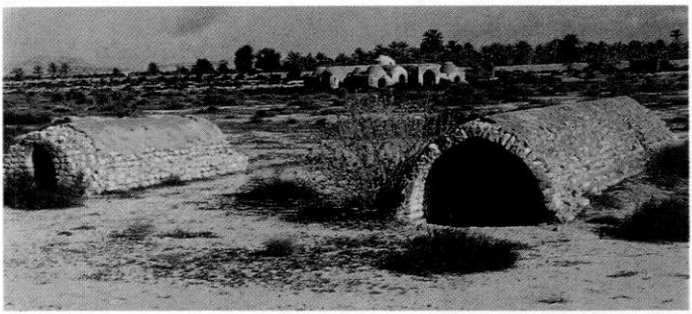

آبار مياه بالقرب من هرمز

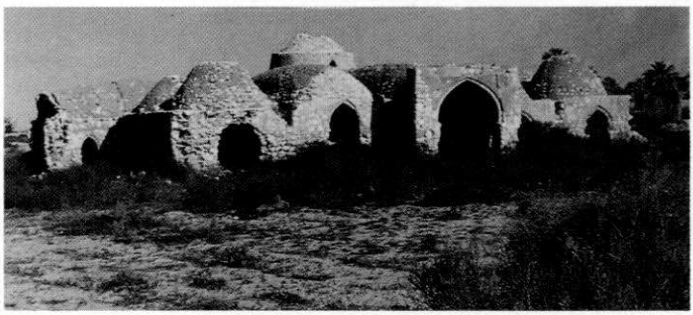

مسجد بالقرب من هرمز

أمراء هرمز في عُمان

رغم أن قلهات كانت مدينة مألوفة لأمراء هرمز، إلا أنهم أرادوا السيطرة على بقية الموانيء العمانية، وفي سنة ٦٦٠ هجرية/ سنة ١٢٦١ ميلادية استطاع (ركن الدين القلهاتي) احتلال ظفار، وعمل على نهبها وسلب أملاكها، ولكن جيشه هلك أثناء عودته إلى الشمال.

وبعد مضي أربعة عشر عاماً، وصل جيش جديد إلى السواحل العمانية، وتوجه إلى الشمال والمنطقة الداخلية حتى وصل الى نزوى، وكانوا في طريقهم ينهبون ويسلبون ويخربون كل شيء.

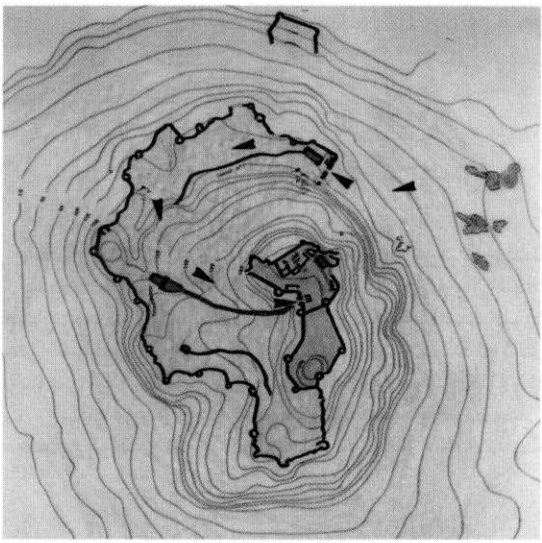

حصـن حـورة برغـة

كـان ملوك بنـو نبهان يحكمـون البـلاد في تلك الأثناء، وقـد حاولـوا مقاومـة الغزاة الهرمـزيين، حيث عملوا على بنـاء عدد مـن الحُصون والقـلاع على أطـراف الجبال حتى يلجأوا إليهـا عنـد الهجمات، ولعل أشهر هذه الحصـون ذلك الحصن الموجود في وادي الجزي، الذي يقع على تلة منحدرة تطل على وادي برغة، ويسمى بحصن (حورة برغة). وكـان يمكن لعـدد كبير من الناس اللجـوء إلى ذلك الحصن والمنطقـة المحيطـة به هـربا من الأعـداء. وقـد كانـوا يعتمدون على الميـاه التي تتجمع في السدود والأفلاج الموجودة على منحدرات تلك التلة.
وأخيراً استطـاع الهرمـزيون السيطـرة على جميع الموانيء العُمانيـة، وأنشأوا حصناً منيعاً في صحار، وأقاموا حامية عسكرية فيه.
وحـدث ذلك السنـوات القليلة الأخيرة مـن القرن السـابع الهجـري/ الثالث عشر الميلادي، أو في بدايات القرن التالي.
وبعـد قـرنين من الـزمـان خضعت مملكة هـرمـز وتـوابعهـا للحكم البرتغالي.

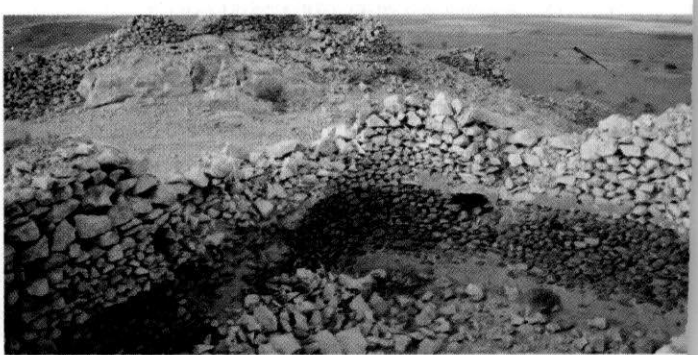

خزان مياه في حصن حورة برغة

وصول البرتغاليين

إلى صحار بتاريخ ١٦ سبتمبر سنة ٩١٢ هجرية ١٥٠٧ ميلادية

عند الصباح شاهد القائد البرتغالي، البوكيرك، ورفاقه مدينة كبيرة جميلة. وكان معهم مرشدين عرب أخبروهم بأن هذه المدينة تسمى صحار. وحيث كان يعرف هؤلاء مدى الحماية والمنعة التي تتوفر في ذلك الحصن، حاولوا إثناء البرتغاليين عن مهاجمة المدينة، وذلك لأنهم في حالة هزيمتهم (أي البرتغاليين) فانه من الممكن أن يقتلوا هؤلاء المرشدين من العرب. وكانت مؤخرة المدفع على ظهر السفينة معقودة بحبل في عنق أحدهم مستعدين لرميه في البحر عند حصول أي خطأ أثناء ارشادهم».

الرواية البرتغالية

عن احتلال صحار من قبل القائد البرتغالي البوكيرك، سنة ١٥٠٧ ميلادية

البرتغاليون في الهند مع الأب أوغسطينوس

في اللحظة التي أنزل فيها الأسطول البرتغالي مراسي السفن على بعد نصف ميل من الشاطيء قبالة صحار، أخذت جميع طواقم الحامية مواقعها على شرفات الحصن، وذلك بهدف عرض قوتهم لارهاب العدو البرتغالي. وقد حذر الحاكم المحلي لصحار البرتغاليين من مهاجمة هذا الحصن المنيع الذي يتمتع بحماية أمير هرمز.

ولكن القائد البرتغالي طلب من الحاكم المحلي أن يستسلم، وفي حالة عدم استسلامه فانهم سيهاجمون الحصن ويسيطرون عليه بالقوة وسوف يتم تقييد الحاكم بالسلاسل.

وفي صباح اليوم التالي، جهز القائد مدافعه وأسلحته على قوارب صغيرة واستعد لحصار المدينة.

وعندما رأى الحاكم المحلي لصحار هذا المشهد، بعث للقائد البرتغالي بقبوله سيادة ملك البرتغال على المدينة، وقد حفزه على ذلك أن أمير هرمز لم يكن يدفع له أجوره كحاكم محلي، كما أنه لم يبعث قوات من طرفه لدعم صمود المدينة.
واجابه القائد البرتغالي بأنه سُرَّ كثيراً حيث لم يضطر لتدمير ذلك الحصن الرائع، وبأنه سيفرض جزية معقولة مقابل اعتراف الحاكم بسيادة البرتغاليين على المدينة.
ثم قام بارسال مجموعة من الضباط البحريين رافعين العلم البرتغالي بكل فخر ومتجهين الى الحصن، حيث دخلوا الحصن ووضعوا العلم على قمة البرج الرئيسي.

زحف البرتغاليين

تمكن البرتغاليون بغزوهم للشاطىء من جزيرة سوقطرة حتى جزيرة هرمز فى عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م من إحراز نصراً مروعاً. وقد ظل صدى هذا الانتصار السريع الحاسم مدوياً لمئات السنين.
وقد كان السبب الأول لهزيمة البرتغاليين راجع لتضارب سلطاتهم فى المنطقة. وبالرغم من أنهم لم يكونوا يملكون الوسائل لغزو الدولة، إلا أنهم أجبروا السكان، الذين كانوا فى ذلك الوقت، من المزارعين الإقطاعيين الخاضعين لشاه إيران، على الخضوع لملك البرتغال الأمر الذى لم يقبل به أبداً الأيرانيون إلا أنهم لم يكن لديهم أسطول لمقاومة هذا الغزو.
كما وأن أمراء هرمز وكذلك حكام القلعة المعتمدون عليهم قد لعبوا دوراً كبيراً فى هذا التضارب وقد تخلل تاريخ هذه الفترة سلسلة من الدسائس والعصيان واجهها البرتغاليون بمزيد من سفك الدماء والعنف.
أما السبب الثاني للهزيمة النهائية للبرتغاليين فقد كانت فى قدراتهم على الحكم فقد كانوا غير قانعين بالأتاوات التى يحصلون عليها مراراً وقاموا بالإستيلاء على الرسوم الجمركية فى كل من موانىء مسقط وهرمز وصحار التى كان يذهب جزءاً كبيراً منها لصالحهم، وقد آثار هذا الأمر حفيظة الهرمزيين وشاه بلاد فارس الذى لم يعد يستلم الأتاوه التى كانت تعطى له من الهرمزيين.
وقد تأكد سقوط البرتغاليين من خلال العوامل التالية مجتمعه :
- وجود سلطة حاكمة قوية فى إيران بزعامة شاه عباس.
- ظهور الإسطول البريطاني الذى قام بطرد البرتغاليين لينعم هو بخيرات المنطقة.
- ظهور قوة جديدة فى الساحل المقابل وهم اليعاربة فى عُمان.

السياسات التوسعية لليعاربة وآل بوسعيد

أئمة اليعاربة :

حينما إستولى البرتغاليون فى عام ١٠٢٥هـ/١٦١٦م على قلعة صحار للمرة الثانية، تمكنوا من تأسيس مواطىء قدم لهم فى عُمان التى كانت مجزأة ومتنافرة حينذاك وكانت السلطة المركزية بها متفككة.

ولكن فى عام ١٠٣٣هـ/١٦٢٤م، وتحت الدافع القوي للشيخ/ خميس بن سعيد الشقصي تم فى إجتماع ضم الشيوخ والأعيان إختيار ناصر بن مرشد كإمام والذى أوصل عُمان إلى «عصر ذهبي» جديد دام لفترة قرن من الزمان تقريباً، وقد قام الإمام مع خليفته سلطان بن سيف بتحرير عُمان من السيطرة الأجنبية.

وبإرغام آخر فلول البرتغاليين فى مسقط من الإستسلام فى عام ١٠٥٨هـ/١٦٤٨م، دخل سلطان بن سيف فى حرب ضروس معهم وطاردهم حتى معاقلهم فى الهند وأفريقيا التى إستولى عليهما أنذاك. وبنهاية القرن الحادى عشر الهجرى (١٧ ميلادى) إجرى سيف بن سلطان تحسينات كبيرة فى المنطقة وشكل تهديداً خطيراً للمصالح الفارسية.

حققت حكومة اليعاربة سمعة وشهرة أكثر بسبب الإستقرار الداخلى الملحوظ الذى طرأ على عُمان خلال فترة حكمهم وتطويرهم لنظام الرى وإنشاء العديد من القلاع، التى كان من ضمنها قلعة نزوى التى بناها سلطان بن سيف الأول وقلعة جبرين التى شيدها بلعرب بن سلطان وأخيراً قلعة الحزم التى بناها سلطان بن سيف الناني. ولكن فى عام١١٣٢هـ/١٧١٩ ونتيجة لحداثة سن الأمير الوريث سيف بن سلطان وبسبب العدوات بين الأوصياء والمرشحين الآخرين لتولى الإمامة دخلت عُمان مرة أخرى فى مرحلة من الفوضى، بما يعرف (بالحرب الأهلية بين الهناوية والغافرية). وقد إستفاد الفرس من هذا الضعف الذى طرأ على السلطة المركزية وقاموا بإحتلال مدينة مسقط ومحاصرة مدينة صحار.

أسرة آل بوسعيد الحاكمة :

ولد عميد الأسرة الإمام أحمد بن سعيد آل بوسعيدي في ادم حوالى عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م وتم تعيينه حاكماً لصحار فى عام ١١٥٠هـ/١٧٣٧م من قبل الإمام سيف بن سلطان الثاني، وقد أكتسب شهرة وذاع صيته فى هذه المدينة لجسارته العسكرية وحنكته السياسية حينما قام بمقاومة الغزاة الفرس وبعد ذلك عقب طردهم وإخراجهم من مسقط فى عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م. وقد كان من الشخصيات المشهورة للغاية. خاصة بين قبائل الهناوي بالباطنة، وقد تم تنصيبة إماماً فى عام ١١٥٧ هجرية/١٧٤٤ ميلادية بواسطة إجتماع القاده وشيوخ وأعيان نزوي. وقد أنتهت فترة حكمه في عام ١١٩٦هـ/١٧٨٣م حينما توفى فى الرستاق. أما الحاكم الآخر المهم هو السيد سلطان بن أحمد الذى حكم عُمان في الفترة من ١٢٠٧ إلى ١٢١٩ هجرية (١٧٩٣-١٨٠٤ ميلادية) وأقام فى منطقة ميناء مسقط لحبه للبحر، وفى عهده أصبحت مسقط ومطرح بمثابة مستودعات للخليج العربي ولبحر عُمان. وبعكس العهد السابق فإن أمن التجارة كان مستتباً بدقة تامة. وفي عام ١١٩٧ هجرية/١٧٩٣ ميلادية قام سلطان بن أحمد بضم ميناء جواذر فى ساحل مكران بالإضافة إلى موانىء أخرى عديدة على الساحل الإيراني. ولكن يعود الفضل لخامس الحكام من أسرة آل بوسعيد، سعيد بن سلطان- (١٢٢١-١٢٧٣هـ/١٨٠٦-١٨٥٦م) في توسيع نفوذ أمبراطورية عُمان لأقصى حد، فقد قام أولاً بتعزيز الأسطول العُماني وتجهيزه بأحدث السفن التى كانت العديد منها ذات الحمولة الثقيلة. وبمساعدة أسطوله، الذى مكنه من منافسة القوى الأوربية الموجودة آنذاك فى المنطقة، تمكن فى عام ١٢٤٤هـ/١٨٢٩م من توسعة حدود إمبراطورية عُمان حتى ظفار ولاحقاً إلى ساحل شرق أفريقيا من رأس جردافوي حتى رأس دلجادو. وفى عام ١٢٤٥هـ/١٨٢٨ تمركزت الحاميات العُمانية في ممباسا ولامو وباتى وكلوه وزنجبار. وبعد عشرة سنوات من ذلك التاريخ أرسل سفينته «سلطانة» فى رحلة مشهورة إلى أمريكا. وقد أنطفئت شعلة هذا الحاكم الإسطورى فى عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦ حينما وافته المنية على ظهر فرقاطته «فيكتوريا» فى طريق عودته إلى مسقط من جزر سيشل.

قصة حصن صحار

هل كان يوجد في صحار حصن قبل الحصن الذي بني في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي؟

بالرجوع إلى المصادر التاريخية القديمة التي تصف صحار بين القرنين الثالث والسابع الهجري/ التاسع والثالث عشر الميلاديين، فإننا لا نجد أي إشارة الى وجود حصن أو أسوار في المدينة خلال تلك الفترة الزمنية.

في سنة ٥٧٠ ميلادية، أرسل ملك الساسانيين ــ كسرى أنو شروان ـ قائده الجنرال (فهراز) إلى اليمن، وقد توقف هذا القائد في عُمان مع جيشه، حيث أنشأ حامية عسكرية مكونة من (٤٠٠٠) رجل في حصن يسمى (جامستيجيرد) (ويسمى في بعض النصوص ـ داستاجيرد أو راميستيجيرد) بالقرب من صحار. وقد روي فيما بعد بأن هذه القلعة هي في نفس المكان الذي التقى به رسل النبي محمد ـ (ﷺ) ــ بأبناء الجلندى. وفي فترة لاحقة، حوالي القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، تم القبض على القائد الذي بعثه هارون الرشيد إلى عُمان وهو ــ عيسى ابن جعفر ــ حيث سجنه العُمانيون في حصن صحار حيث تم إعدامه. وهناك أخيراً مصدر تاريخي أشار إلى أن الأباضيين استولوا على حصون بني الجلندى في صحار. وذلك خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ولم يبق من تلك الحصون أية آثار، ولا نعرف أين كان موقعها، ولكنه من المؤكد أنها لم تكن في نفس موقع حصن صحار الحالي: حيث شيد هذا الحصن في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي أو في بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وموقعه في الطرف الجنوبي لمدينة صحار، وذلك على موقع آثار البيوت القديمة، وليس على آثار حصون قديمة. وقد عمل على انشاء هذا الحصن أمراء هرمز.

المنازل الفخمة التي كانت تقع تحت حصن صحار وتعود الى القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي

لقد كشف علماء الآثار عن بقايا المنازل القديمة تحت أساسات الحصن، والتي يعود تاريخها إلى القرن السادس الهجري / الثالث عشر الميلادي. وتؤكد هذه البقايا على ثراء أصحابها وترفهم، حيث أنها كانت على درجة عالية من الفخامة، وخير دليل على ذلك، النوعية الممتازة من الطوب الذي كان مستخدماً في بناء تلك البيوت، وكذلك الحجارة المستخدمة في مداخل تلك البيوت والمقطوعة بشكل جيد. وعلاوة على ذلك، النوعية الممتازة من السيراميك والبورسلان المستخدم في أرضيات تلك المنازل التي كانت تعود ملكيتها الى أصحاب السفن أو التجار الذين كانوا يمارسون التجارة مع الصين.

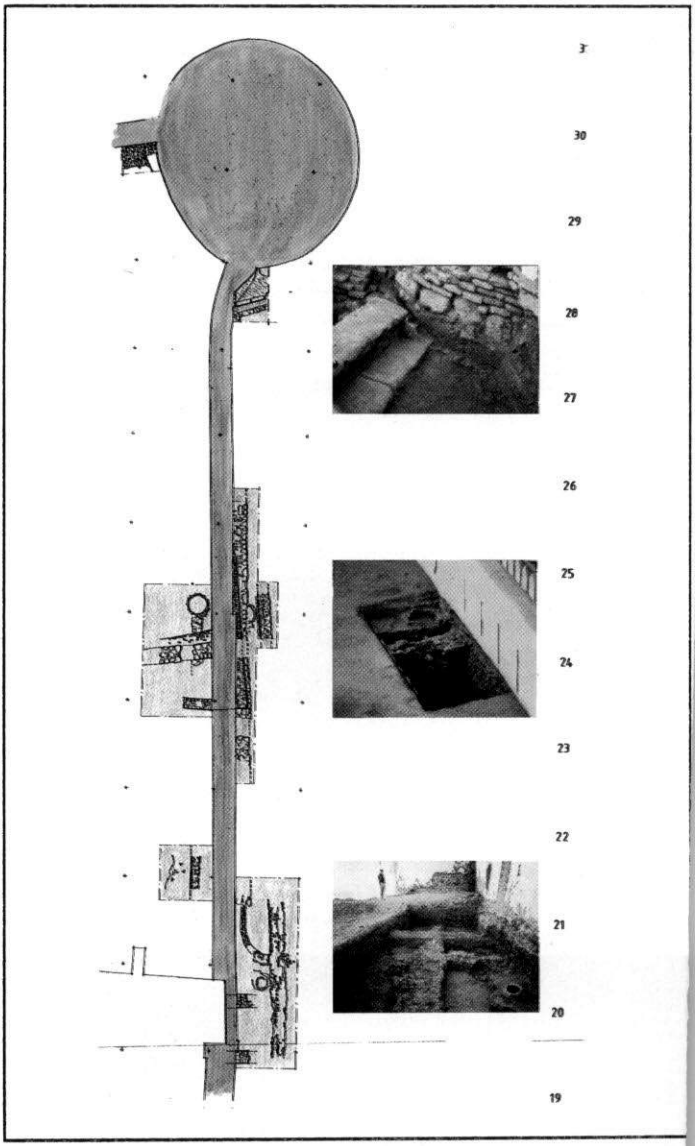

منازل تعود للقرن السادس الهجرى/١٣ ميلادى

وهنـاك منزلان منهما، سمي الأول «منـزل الجرة الـزرقاء»، والثـاني «منزل التنين الصيني».

بناء حصن صحار

لم يكن أمراء هرمز غرباء بالنسبة لعُمان، فقد كان أول أمير لهم من الجزيرة العربية : «وهو (محمد درام كو) الذي انحدر من ملوك صباح، احدى مقاطعات شبه الجزيرة العربية، وكان يرغب بتوسيع منطقة نفوذه، حيث خرج من نطاقها حتى وصل إلى سواحل الخليج. وقد حاول اقناع مواطنيه الانضمام اليه قاطعاً البحر، مع وعده لهم بإنشاء ميناء على السواحل الفارسية تكون له

مملكة هرمز حسب «أطلس ميلر» سنة ٩٢٤ هجرية/سنة ١٥١٨ميلادية
(المكتبة الوطنية / باريس)

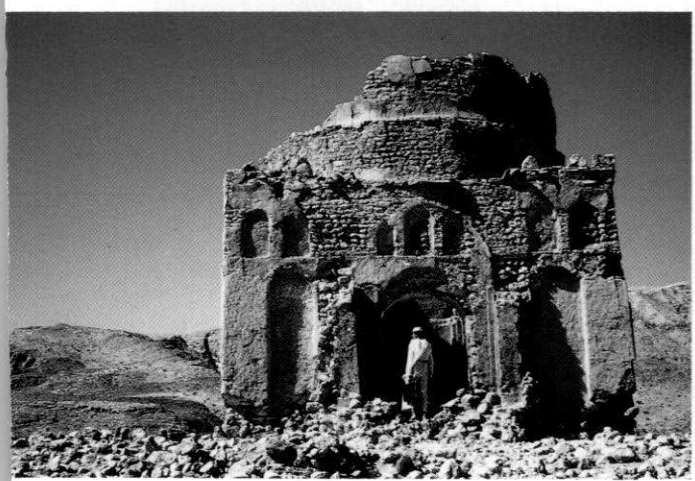

قبر بيبي مريم في قلهات

شهرة تجارية أفضل من ميناء صحار. وقد خرج مع شعبه الى قلهات (Kalahat) بالقرب من رأس الحد (Cape of Rocolgat) ثم انطلق حتى وصل جشك (Jasques) على الساحل الفارسي. وكان قد ترك أحد ابنائه مع أحد الوزراء في قلهات، بحيث تبقى بمثابة الملجأ له ولشعبه في حالة اخفاقه في اجتياز البحر والوصول إلى السواحل الفارسية».

جدار مدينة قلهات

(ورد ذلك في ترجمة سنكلير) لكتاب (أمراء هرمز) لمؤلفه بدرو تكسيريا، سنة ١٦٨١ميلادية).
وعليه فقد أصبحت قلهات العاصمة الثانية لأمراء هرمز، وقد حكم الأمير (بهاء الدين اياز) المدينتين من سنة ٦٩٣ وحتى سنة ٧١١ هجرية / سنة ١٢٩٣ ـ سنة ١٣١١ ميلادية وبعد وفاته حكمت زوجته (بيبي مريم) مدينة قلهات، ولا يزال قبرها ماثلاً للعيان فوق آثار المدينة. ومن المحتمل أن يكون قد تم بناء حصن صحار خلال فترة حكم الأمير (بهاء الدين اياز).

حصون أمراء هرمز

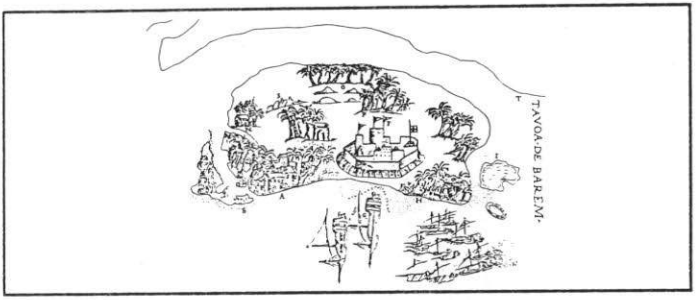

رسم للبحرين يعود لتاريخ ٥٦٨ الميلادى

قام أمراء هرمز بإنشاء العديد من الحصون، بالإضافة الى حصن صحار، على السواحل العربية والفارسية. ويمثل هذا الرسم أحد الحصون التي أقاموها في البحرين (مخطط برتغالي، يرجع لسنة ١٥٣٨ ميلادية، لشبونة).

هذا الرسم يمثل أقدم رسم لحصن صحار، ويظهر في أطلس لازارو لويس، ويعود تاريخه إلى سنة ١٥٦٣م.

خلال فترة حكم الأمير (بهاء الدين اياز)، تم تحويل مقر أمراء هرمز من مدينة هرمز الواقعة على الساحل الايراني الى جزيرة صغيرة تقع في عرض البحر - وهي جزيرة (جيرون)، وذلك لأسباب أمنية. وكان ذلك في سنة ٧٠٠ هجرية/سنة ١٣٠٠ ميلادية. وقد عرفت هذه الجزيرة فيما بعد باسم (هرمز الجديدة). (أطلس ميلر، سنة ١٥١٩، لشبونة). وقد حقق موقع الجزيرة الأمان اللازم وذلك لكونها منعزلة في وسط البحر، وعليه لم يتم انشاء اي حصن فيها حتى جاء البرتغاليون. حيث كان القائد البرتغالي (أفونسو دي البوكيرك) أول من وضع حجر الأساس لحصن هرمز سنة ٩١٣ هجرية/ سنة ١٥٠٧ ميلادية، ولم يكتمل بناؤه إلا في سنة ٩٢٠ هجرية/سنة ١٥١٤ ميلادية.

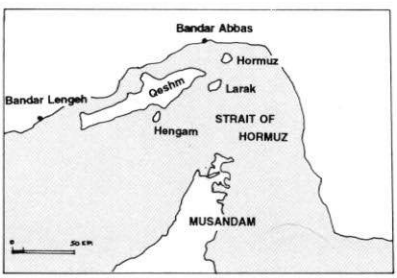

مضيق هرمز

البرتغاليون في صحار

القائد البرتغالي (افونسو دي البوكيرك) الملقب «الرهيب» قال بأنه لا يستطيع أن يحكم قبضته على هرمز الا اذا سيطر على صحار، حيث أن هذه المدينة يمكن أن تهاجم أسطوله من الخلف في أي وقت. وبسبب نقص الأموال والرجال، لم يتمكن البرتغاليون من الاستمرار في احتلال حصن المدينة، حيث قاموا باحتلال المدينة في المرة الأولى سنة ٩١٣ هجرية / سنة ١٥٠٧ ميلادية. ثم احتلوها ثانية سنة ٩٢٩ هجرية / سنة ١٥٢٢ ميلادية، ثم فرضوا عليها حصاراً سنة ١٠٢٥ هجرية/ سنة ١٦١٦ ميلادية. وبعد احتلالها في المرة الأخيرة، بقي فيها القائد مع (٤٠) أربعين جندياً برتغالياً، على أمل الاستمرار في احتلالها لمدة طويلة، وظيفتهم الدفاع عن حصن المدينة والمحافظة عليه، مع افتراضهم أن ذلك لن يكلف الخزينة البرتغالية أية أعباء مالية، ولكن الأمور جرت على عكس ما خططوا له. حيث كانت عائدات رسوم الجمارك في صحار، والتي كانت تبلغ حوالي (٥٠ - ٧٠ شارافين)، تغطي نفقات صيانة سور الحصن بصعوبة. أما فيما يتعلق بالضرائب التي أرادوا أن يفرضوها على مزارع النخيل، لم يستطيعوا الحصول على شيء منها، وذلك لأن (بنو جابر) الذين كانت لهم السيطرة على منطقة صحار، وكانوا أقوى من البرتغاليين، كانوا يصادرون تلك الضرائب.

الفونسو دي البوكيرك

وبسبب خيبة الأمل التي أصابت البرتغاليين الذين حاربوا لفترة طويلة للسيطرة على هذا الحصن، بدأوا بمحاولة التخلص منه بطريقة تحفظ لهم كرامتهم، وذلك ابتداء من سنة ١٠٣٢ هجرية / سنة ١٦٢٢ ميلادية.

وقد طرحوا عدة احتمالات لتنفيذ ذلك منها:

- تدمير الحصن تدميرا كاملا وتسويته بالأرض.
- بيع الحصن لإبن أخ أمير هرمز.
- أو عرضه على أحد شيوخ العرب.

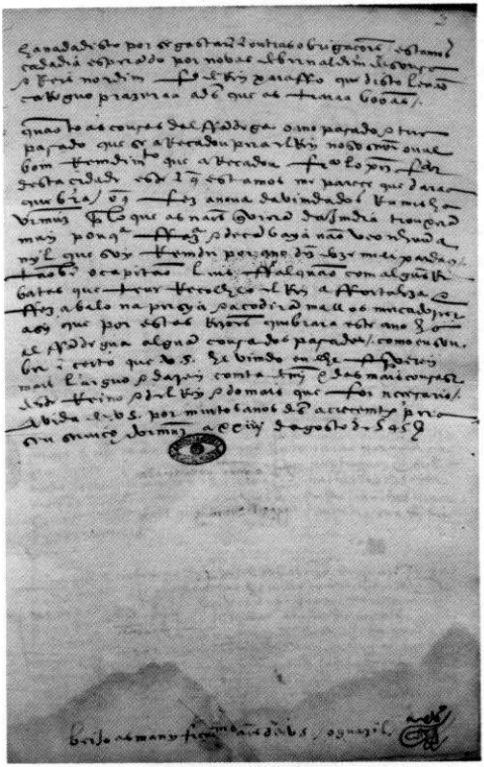

تفاصيل الرسالة الموزعة في ٢٤/أغسطس/١٥٤٥م لشبونة

ولكن لم يتم إتخاذ أي من الاحتمالات التي وضعوها، وذلك بسبب قيام الفرس بطردهم من هرمز، الأمر الذي جعلهم يتخذون من صحار ملجأ لهم، وموقعاً ضرورياً للإبقاء على سيطرتهم على المنطقة.

ولسوء حظهم، عمل الفرس على مطاردتهم حتى أخرجوهم من صحار لفترة من الزمن. وعندما عادوا لإحتلالها، واجههم خصم قوي وهو الإمام ناصر بن مرشد الذي كان أكثر تصميماً ومقاومة من جميع الذين سبقوا وواجهوا البرتغاليين في عُمان. وكان قد تم انتخاب الامام ناصر حاكماً لصحار في سنة ١٠٣٤ هجرية / سنة ١٦٢٤ ميلادية، وقد استسلم البرتغاليون على يديه في صحار سنة ١٠٥٣ هجرية / سنة ١٦٤٣ ميلادية، حيث أعدم جميع جنود الحامية البرتغالية.

أسلحة الحصن

أثناء الإحتلال البرتغالي

كان الحصن مجهزاً بستة مدافع صغيرة، اثنين منها مصنوعة من البرونز، ومدفع آخر من الحديد يطلق قذائف تزن الواحدة منها ثمانية أرطال ويتكون احتياطي الذخيرة من (٢٠ ـ ٣٠ كغم) من البارود، بالإضافة الى كميات من طلقات الرصاص. وبهذه التجهيزات كان يمكن للحصن أن يقاوم الهجمات العادية والتي لا تستخدم فيها الأسلحة الثقيلة.

وكانت حامية القلعة تتكون من القائد وعدد من الجنود يتراوح ما بين (٣٠ ـ ٤٠) جنديا. وكان راتبهم حوالي (٤٠) لارين لكل ثلاثة أشهر، بالإضافة الى كمية من الأرز. أما بالنسبة للتمور التي كانوا يقومون بجمعها وأخذها باسم ملك البرتغال، فكان يشاركهم فيها (١٥٠) مائة وخمسين جنديا محليا من جنود الحامية.

ومن حيث الصيانة والمحافظة على الحصن، كانت تبلغ تكلفتها ما بين (٢٠٠ ـ ٣٠٠ لارين) سنويا، بينما وصلت تكلفة اعادة بناء جزء من الحصن في سنة ١٠٣١ هجرية/ سنة ١٦٢١ ميلادية مبلغ (٢٠٠٠) لارين.

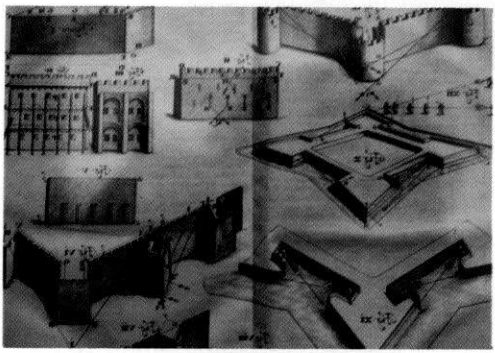

موقع المدفعية في الحصن خلال القرن العاشر الهجرى ـ السادس عشر ميلادى

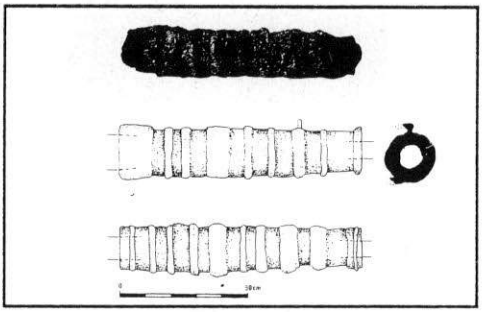

مدفع صغير مصنوع من الحديد

الأسلحة العثمانية

العسالم الإسسلامي

تشير الوثائق البرتغالية الى أنواع الأسلحة التي استخدمها العُمانيون للدفاع عن أنفسهم وبلادهم في سنة ٩١٣ هجرية/سنة ١٥٠٧ ميلادية.
فعلى سبيل المثال، كانت (قريات) تمتلك أربعة مدافع. وبعد استسلام حاميتها، تم العثور على (٢٥) بندقية يدوية، وعدد من الرماح والنبال والسهام.

خوذة وترس ودرع من إيران تعود الى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي

درع جندي ودرع حصان من الهند القرن الحادي عشر/السابع عشر الميلادي

في صحار، أبدى البرتغاليون دهشتهم لطبيعة التجهيزات التي كانت تتمتع بها خيول الفرسان المدافعين عن الحصن: فقد كانت لها أغطية تحميها، ولجام مصنوع من الحديد السميك، لا يخترقه الرصاص. كان بمقدورِ الفارس أن يجلس متربعاً على جزء مرتفع قليلاً من السرج، أما المهماز فيتكون من قطعة حديدية أو نحاسية مدببة، تثبت بواسطة صفيحة الى كعب الحذاء الذي يرتديه الفارس.

النيران الأغريقية :

تم خلال الحفريات فى عام ١٣٩٩هـ/١٩٨٠م إكتشاف البرج المحصن الهرمزى ووجدت بعض الأوانى الفخارية فى أرضيته لايزال بها الخليط الأخضر المائل للإصفرار، وقد كانت هذه الفخار تستخدم كقنابل من قبل المدافعين عن القلعة ضد القوارب غير المرغوب فيها والتى تقترب من الشاطىء، وحينما تنكسر الأوانى الفخارية يتدفق منها الخليط المكون من الجص السريع والكبريت : حيث يسخن الأول عند ملامسته للماء ويشعل النار على الثانى الذى يتواصل فى الإحتراق حتى عندما يكون مبتلاً.

جرة أغريقية تم إكتشافها فى صحار فى (القرن التاسع الهجرى/١٤ ميلادى)

وقد كان هذا من السلاح يعرف باسم «النار الأغريقية» حيث إستعمله الأغريق منذ القرن الخامس قبل الميلاد وتجربته مع مختلف الاستخدامات، مع السهام الملفوفة بالأقمشة المغموسه فى الزيت أو قذائف مغلفة أو معبئة بالكبريت، القطران، القار، أو الشمع. وقد كان الخليط سراً من أسرار المهنة وكانت عقوبة الكشف عنه الموت، وقد لجأ البيزنطيون والمسلمون لاحقاً بعد الإغريق إلى استخدام هذه القنابل الحارقة.

ففى عام ٢٢٨هـ/٨٤٢ ميلادى، نشبت حرب بحرية ضد البزنطيين قام بها أحمد بن دينار بن عبداله حينما أطلق المسلمون القنابل النارية قضت على كل شىء ولم تترك ورائها سوى الأجساد المحترقة ورائحة الجلد المشوى. فبإستخدام هذه القنابل الحارقة لم تعد هناك حاجة لإستخدام «الحرب الملتهبه».

ومؤخراً قليلاً، فى عام ٣٣١هـ/٩٤٣ ميلادى قام يوسف بن وجيه، حاكم عُمان، أثناء هجومه البحري على البصرة بإطلاق النيران على أسطول العدو بواسطة قاذفات كان يتم إطلاقها من القوارب.

لضمان أقصى فاعلية فانه يجب إطلاق «النار الأغريقية» من مسافة بعيدة قدر الإمكان، كما كان يتم إطلاق الرماح، المنجنيق (القاذفات فى العصر القديم)، فى أثناء الحرب، كما يسكن تدليه هذه الفخار الحارقة بواسطة الحبال كما حدث فى قاعة صحار حيث تكون قوة إندفاع القذيفة. فهذا السلاح الفعال «النيران الأغريقية» الذى كان يستخدم فى العصور الوسطى قد حل بدلاً عنه المدفع ولم يتم ايتخدامه بعد القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي.

أسباب سقوط

مدينة صحار سنة ٩١٢ هجرية ١٥٠٧ ميلادية

هناك سببان رئيسيان يوضحان سقوط حصن قوي ومنيع لم يستطع صد الغزاة البرتغاليين سنة ٩١٣ هجرية/ سنة ١٥٠٧ ميلادية. السبب الأول يتمثل في حيازة المهاجمين لأسلحة ثقيلة (مدافع تطلق قذائف نارية) لم يستطع الجنود في حامية الحصن مواجهتها. كما كان من المعروف آنذاك بأنه قبل أيام قليلة من مهاجمة صحار، كان البرتغاليون قد قصفوا مدينتي مسقط وقريات، وأجبروها على الاستسلام، وارتكبوا المذابح ضد الأهالي لأنهم حاولوا مقاومة الأسطول البرتغالي. في تلك الحقبة لم يكن هناك من يمتلك المدافع سوى الأتراك والتي كانت أفضل من مدافع البرتغاليين. السبب الثاني، وهو أن حاكم صحار في ذلك الوقت، كان أحد أشراف هرمز لم

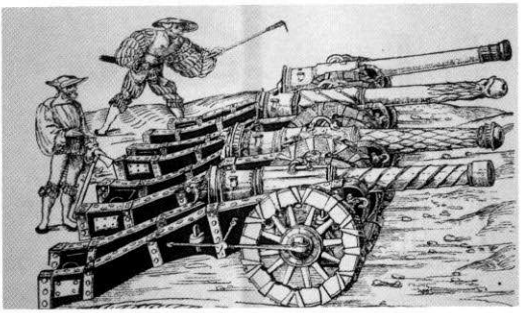

مدفع أوروبي من القرن العاشر الهجرى ـ السادس عشر الميلادى

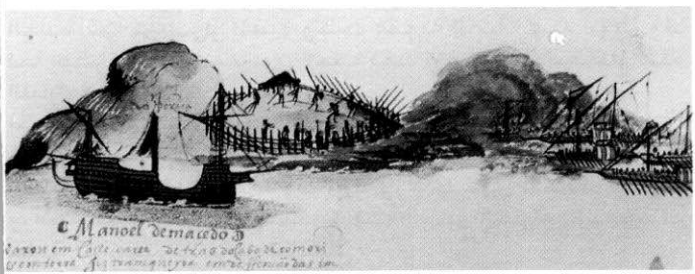

هجوم برتغالي على أحد الموانيء

يكن على علاقة طيبة مع (خواجا آتا) وزير هرمز، الذي لم يبعث بأية تعزيزات الى صحار لمواجهة البرتغاليين. ولذلك فضل أن لا يبدي أية مقاومة ضد المعتدين البرتغاليين بل على العكس، رأى أن مهادنتهم أفضل من محاربتهم. وينطبق هذا الحال على أهالي صحار، حيث كان الهرمزيون قد دمروا تجارتهم، وفرضوا عليهم الضرائب الباهظة، في وقت كانت فيه السلطة السياسية في عُمان منقسمة على نفسها في الداخل ولم تكن للحكومة أية سلطة أو نفوذ يُذكر على المناطق الساحلية.

الرسومات البرتغالية

لحصن صحسسار

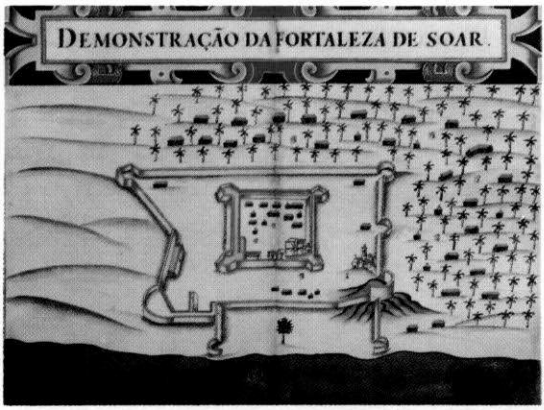

قلعة صحار القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادى ـ بباريس

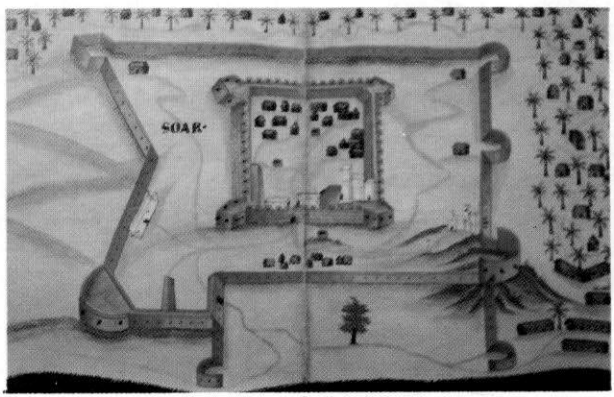

قلعة صحار ـ العاشر الهجرى ـ ١٦ ميلادى

أمر ملك البرتغال برسالة بعثها الى نائب الملك بالهند سنة ١٠٣٠ هجرية / سنة ١٦٢٠ ميلادية بأن يرسل الأخير (جوليو سامونس) الى صحار لكي يقوم برسم مخطط لحصنها وذلك قبل البدء بعملية الترميم. ولعل الرسم الذي وضعه للحصن يشكل أساس النماذج المصغرة المعروضة هنا. كما أن هذا الرسم يصور العمل الذي وضعه الرسام البرتغالي (ريزند) في كتابه «دراسة عن الهند الشرقية» ويعود تاريخه الى عام ١٠٤٥ هجرية/ سنة ١٦٣٥ ميلادية. (المجموعة البرتغالية، رقم (١)، المكتبة الوطنية، باريس) وتختلف النماذج الأربعة المعروضة لحصن صحار اختلافاً بسيطاً عن النموذج السابق.

وصول البرتغاليون الساحل العُماني

خلال القرن ١٠-١١هـ/١٦-١٧م

كان المخزن والردهات بالإضافة إلى سكن الحاكم فى ركن من فناء القلعة، أما باقى المساحة فكان يوجد بها سكن الحامية ومخزن الذخيرة والمواد الغذائية وآبار المياه العذبة. فخلال هذه الفترة لم تكن المدن محاطة بجدران ما عدا دباء التى كان دورها السياسى والإقتصادى مهماً بدرجة خاصة قبل قدوم وأثناء العصور من الإسلام، وقد كانت مدينة دبا أحدى الأسواق فى الجزيرة العربية.

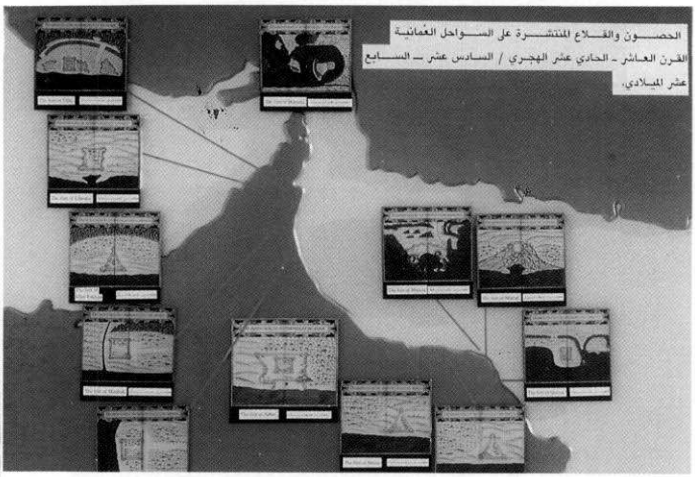

قلاع برتغالية فى الخليج وفى الساحل العُماني

نسبة لموقعها الجغرافى المتميز والأهمية السياسية لمدينة مسقط، فقد تم تحصينها بتحصينات خاصة، فقبل وصول البرتغاليين كان يوجد بمسقط سور وقلعة فى الجلالى. وقام البرتغاليون باعادة بناء القلعة فى الفترة بين عام ٩٩٠-٩٩٥هـ/١٥٨٢-١٥٨٧م، كما بدأوا فى بناء قلعة الميراني فى عام ٩٦٠هـ/١٥٥٢م، وفى الفترة بين الأعوام ١٠١٨ و١٠٢٦هـ ١٦١٠-١٦٢٦م قاموا بتشييد الصيرة الغربية والصيرة الشرقية وإعادة بناء سور المدينة.

التطور المعماري

لحصن صحار

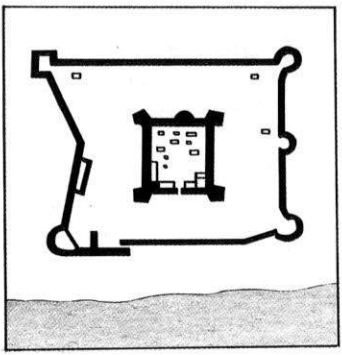

الحصن خلال السنوات من (٨٠٢ - ٩١٣) هجرية (١٤٠٠ - ١٥٠٧) ميلادية

بدى حصن صحار للبرتغاليين بالشكل الذي بناه عليه الهرمزيون كما يلي: شكله مربع وله أربعة معاقل، في كل زاوية من الحصن يوجد معقل وفيه فتحات للمدافع وعلى السطح هناك ممر مغطى بالمتاريس. وكانت المعاقل محمية بجدران واقية من الحجارة وضعت بشكل مائل وذلك لتساعد في إتقاء القذائف التي يطلقها العدو على الحصن.
الحصن محاط بسور تتخلله فتحات تستخدم لرمي واطلاق القذائف. وفي الداخل يوجد سجن وبنايات عديدة لاسكان حوالي (٣٠٠) جندي، وتخزين الأسلحة والأطعمة، وكذلك توجد آبار مياه الشرب وهناك أرضية تستخدم للعرض تمتد أمام الحصن لتصل الى مياه البحر.

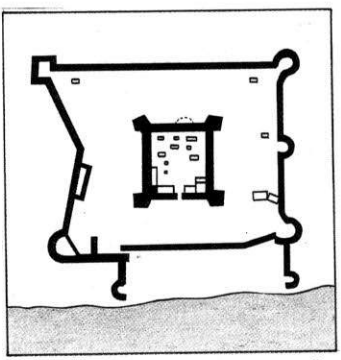

الحصن في سنة ١٠٢٨ هجرية/ سنة ١٦١٨ ميلادية

بعد عام ١٠٢٤ ـ ٢٥ هجرية/١٦١٦ ميلادية. أضاف البرتغاليون جدارين واقيين مع حواجز (متاريس) دفاعية، بين الحصن وشاطى البحر، وذلك لتسهيل الوصول الى المرسى. وقد بقي أحد هذين الجدارين قائماً حتى سنة ١٤٠٠ هجرية / سنة ١٩٨٠ ميلادية، وهو مبني من الآجر على شكل طبقات متراصة روعي فيها النمط البرتغالي في أسلوب البناء.

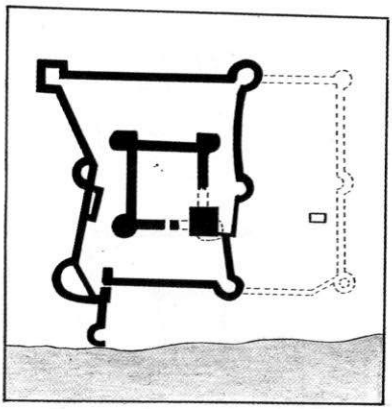

الحصن في عام ١٠٣١هـ ١٦٢١م

الحصن في سنة ١٠٣١ هجرية/ سنة ١٦٢١ ميلادية

في هذه السنة، قام القائد البرتغالي (بينيل) ببناء معقل جديد داخل الحصن، بحجم أكبر وأقوى تحصينا من القديم، وذلك بتكلفة بسيطة (حوالي ٢٠٠٠ لارين) وبمساعدة من أهالي صحار.
كما عمل على تضييق الجدار الخارجي من (١٥٠) الى (٧٠) متر.

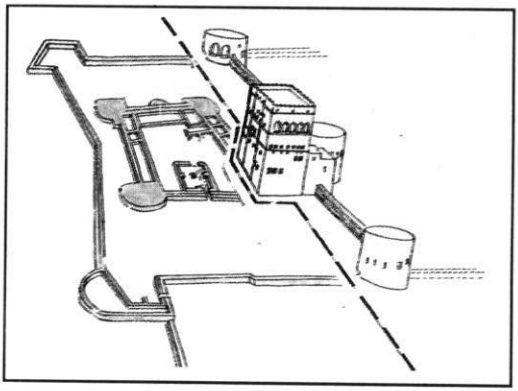

لاتزال هناك آثار قديمة توجد تحت الحصن الحالي، تعطي صورة واضحة عما كان عليه الحصن خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكيف كان وضعه عبر القرون المتعاقبة. وفي الصورة، يدل اللون البني على المبنى القديم الذي تم اكتشافه أثناء الحفريات ما بين سنة ١٣٩٩ ـ سنة ١٤٠١ هجرية / ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ ميلادية.
وفي أسفل الصورة، يشير اللون الأبيض الى المعقل الجديد والجدران الشمالية الشرقية التي بناها البرتغاليون سنة ١٠٣١ هجرية/ سنة ١٦٢١ ميلادية.
أما مدخل الحصن، الذي يعود الى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي فانه لا يزال ماثلاً للعيان أمام الحصن.

حصن صحار في العهد الماضي القريب

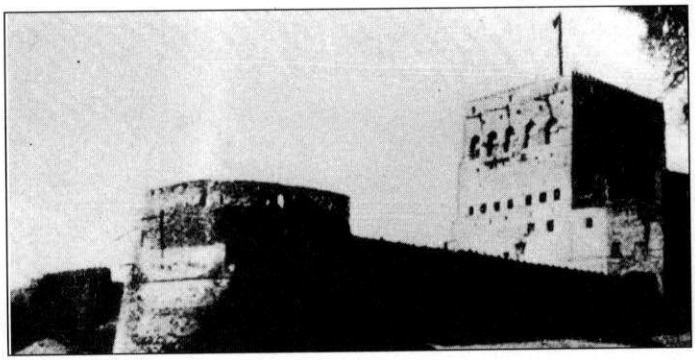

الحصن حوالي عام ١٣٨٠ هجرية ١٩٦٠ ميلادية

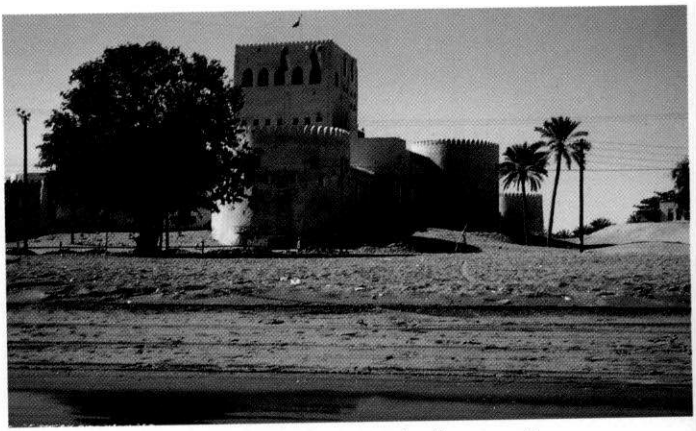

الحصن حوالي عام ١٤٠١ هجرية ١٩٨٠ ميلادية

ترميم الحصن سنة ١٤١٣ هجرية سنة ١٩٩٢ميلادية

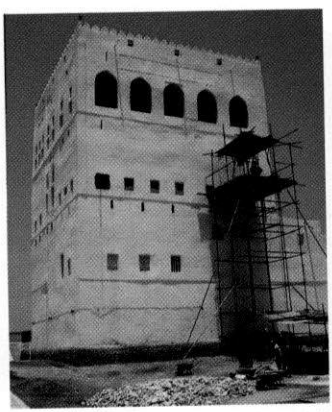

ترميم الحصن في عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م

المطابع العالمية - روي - سلطنة عُمان